كشف الأستار

لابطال إدعاء فناء النار

المنسوب لشيخ الإسلام

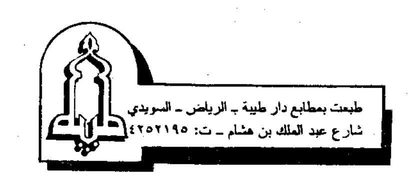
ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية

بقلم

الدكتور / علي بن علي جابر الحربي

الطبعة الأولى

صدر الإذن بطبع هذه الرسالة من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام
برقم ٥٤٧٧ / م وتاريخ ١٤١٠/٨/٨ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوْتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾(١).

﴿يَا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءَلُوْنَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً﴾(٢).

﴿يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَقُوْلُواْ قَوْلاً سَدِيْداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً﴾(٣).

أما بعـــد :

«فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: آية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيات ٧٠ ـ ٧١.

وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

ثم إن من حكمة الله ـ تعالى ـ وعدله أن جعل الجنّة وما فيها من النعيم المقيم دار الخلد لأوليائه، وجعل النّار دار البوار ـ وبئس القرار ـ لأعدائه.

وهذا هو غاية العدل والحكمة في جزاء الطائعين والعاصين عند العقلاء أجمعين، وذلك بعد إنزال الكتب وإرسال الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل:

﴿رُسُلاً مُبشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلاً يَكُوْنَ لِلْنَّاسِ عَلَى الله حُجَةٌ بَعْدَ الرُسُلِ﴾[2] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً﴾[3].

هذا وإنه كان يحز في نفسي ـ أثناء كتابتي لرسالة الدكتوراه ـ ما أقرأ وأسمع عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزيه من القول بفناء النار، حتى شاع ذلك وذاع بين الأوساط العلمية، ورسخ في كثير من الأذهان، بل قرر ذلك بعض الباحثين في رسائلهم الجامعية.

ولو قلت: بلغ هذا حد الاستفاضة لما كنت مبالغاً.

وكنت أستغرب هذه الاستفاضة كونها تتنافى وعقيدة أهل السنّة والجماعة علماً بأن شيخ الإسلام ابن تيمية مجددها، وحامل لوائها، وقامع البدعة وأهلها، وتبعه أخص تلاميذه الإمام شمس الدين ابن القيم، ومؤلفاتهما خير شاهد على ذلك مع ما حفلت به كتب التراجم والطبقات من الشهادات بمكانتهما العلمية العالية وأخلاقهما السامية وصبرهما على الفتن والمحن والقلاقل التي حصلت عليهما في سبيل

---

(١) البخاري ج٨، كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ص١٣٩، ومسلم ج٢ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة ص ٥٩٢ واللفظ له.

(٢) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٣) سورة الإسراء: آية ١٥.

الدعوة إلى اتباع كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك البدع في أصول الدين وفروعه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن ذلك بياناً كافياً شافياً، فهو القائل: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**».

وفي رواية: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء**»[1].

وهو الذي أنزل الله تعالى عليه:

﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[2].

وما قدمه هذان الإمامان الجليلان ـ أعني ابن تيمية وابن قيم الجوزيه ـ من خدمة وجهود عظيمة للإسلام والمسلمين لا يخفى على كل مسلم منصف لاسيما ما قدمه شيخ الإسلام ابن تيمية، فلقد زخرت المكتبات الإسلامية وغيرها بمؤلفاته، وسارت بها الركبان ـ في زمانه وفي غيره ـ إلى كثير من البلدان.

ولست الآن بصدد تعداد حسناته، ومؤلفاته التي بلغت أكثر من ثلاثمائة، كما ذكر ذلك أصحاب التراجم والطبقات، وتشهد بذلك المكتبات والجامعات والمعاهد، والمدارس بشتى مراحلها.

وإنما أنا الآن بصدد تحقيق الكلام في مسألة القول بفناء النار، المنسوب إليه، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) سنن ابن ماجه: جـ١، ص٤ ـ ١٦، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط. الحلبي من حديث العرباض بن سارية أي الرواية الأولى والثانية من حديث أبي الدرداء وفي سنده محمد ابن عيسى بن سميع قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن شاهين: ثقة، وقال ابن حبان: مستقيم الحديث، وقال ابن عدي: لا بأس به، الميزان للذهبي جـ٣، ص٦٧٧ ـ ٦٧٨، ط. بيروت.

(٢) سورة المائدة: آية ٣.

وقد كنت تعرضت لهذه المسألة في رسالتي التي قدمتها لجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: (ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية) وناقشت المسألة مناقشة موجزة، وبطريقة ممزوجة بآراء ابن الوزير، لأنه المعني من البحث وكلامه هو الذي أثار هذا الموضوع ـ عندي ـ لأول وهلة.

وبما أن الكلام متناثر في الرسالة المذكورة، ومترابط بكلام ابن الوزير، فقد رأيت أن أجرد ما قد كنت دونته فيها، وقد كلفني ذلك جهداً شاقاً ـ للارتباط المذكور.

وقد أضفت إلى ذلك زيادات كثيرة، وحذفت وقدمت وأخرت.

وقد كنت أشرت إلى براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار وذكرت نصين من كلامه على ذلك وفي هذا البحث، أضفت إلى ذينك النصين ثلاثة عشر نصًّا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من كتبه المشهورة المعتمدة. الجميع خمسة عشر نصًّا كلّها صريحة بأبدية النار، ولو ارتفع البحث لارتفع العدد، ولكني اكتفيت بذلك خوفاً من التطويل، لأنه يصرف أكثر القراء عن التأمل والتحقيق، والقليل يكفي المنصف، والكثير لا يكفي المتعسِّف.

وقد قصدت بعملي هذا الطمع فيما عند الله تعالى ـ أولاً، وأن ينتشر القول بأبديّة النّار عن شيخ الإسلام ثانياً، كما انتشر عنه الفناء، وهو خلاف الواقع، وأن يحل الواقع في الأذهان محل خلاف الواقع فيها.

هذا ولا يضرني وقوف أهل العلم على ما بي من التقصير، فإني معترف بأن باعي في هذا الميدان وغيره قصير، ولكني لم أجد من تصدى للذب عن شيخ الإسلام ابن تيمية، في هذه المسألة الخطيرة، ألا وهي القول بفناء النار.

لذلك فقد عزمت على بذل جهدي فيها، علماً بأني لست باري

قوسها، ونبالها وفارس ميدانها، ولكن من فقد الماء تيمم بالتراب وعزائي أني من البشر، وكل كلام بعد كلام الله عزَّ وجلَّ وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام له خطؤه وصوابه، ولو ترك الناس الذبِّ عن الحق، مخافة قدح الناس لضاعت حقوق كثيرة، ولعل قصوري في البحث هذا يكون حافزاً لذوي الهمم العالية حادياً بهم إلى قمم البحث الشامخة، ولقصوري فقد واجهتني صعوبات أثناء البحث ـ كثيرة سأشير إلى البعض منها.

من الصعوبات التي واجهتني في البحث :

لقد كلفني جهداً شاقاً ـ ويعلم الله عزَّ وجلَّ ذلك ـ ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار جهداً يكاد أن يكون فوق طاقتي، جهداً لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ ـ ثم من عاناه ـ قضيت زمناً طويلاً وأنا أبحث بحث الجاد المهتم بما يعنيه بشتى طرق البحث، وفوق ذلك أسائل وأناقش بعض أهل العلم حتى تعرضت لبعضهم في موسم الحج.

(١) وحاصل جواب معظمهم أن هذا مستفيض عن ابن تيمية، فأقول أين المراجع، فيحيلني البعض إلى مصادر غير موجود فيها ما ذكروا.
(٢) والبعض الآخر يقول بالاستفاضة، لكن يقول، لما أطالبه بالمصدر: لا أدري، ابحث عنه، وأخبرنا بالنتيجة.
(٣) والبعض الآخر يقول: يشم من رائحة كلام ابن تيمية القول بفناء النار.
(٤) والبعض الآخر يلزم السكوت.
(٥) ومنهم من حثني على البحث في مجموع فتاويه فلا يخلو منها كلامه حول هذه المسألة، وهذا نادر جداً.

(٦) وأعظم صعوبة واجهتني تجريد الكلام المتعلق بهذه المسألة، عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية من رسالتي المقدمة لجامعة أم القرى بعنوان: «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» كون الكلام مرتبطاً بكلام ابن الوزير، إذ هو المعنى من الرسالة المذكورة.

وقد أخذ ذلك مني مدة طويلة تقدر بمدة الرضاعة الكاملة، مع ما أقوم به من الأعمال الأخرى.

(٧) وقد شعرت بالعجز أثناء البحث عن استقصاء ما يتعلق بهذه المسألة العظيمة، ألا وهي القول بفناء النار المنسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، بل كدت أن أغرق في بحار علمه، لولا أن تداركني الله عزَّ وجلَّ بلطفه، لأني لست ممن يجيد الغوص فيلتقط ما يبتغي من درره ونفائسه، ولا ممن يحسن السباحة - عند تلاطم أمواج بحره - فينجو بنفسه، فطلبت من الله عزَّ وجلَّ النجاة.

والله يجيب دعاء المضطر إذا دعاه، فقد نجى نبيه يونس، وهو في ظلمات البحر والحوت.

وبعد ذلك كنت كمن يلتقط من شواطيء البحر ما يقذفه الموج أثناء مده ويتركه وراءه أثناء جزره، وستجد هذه الدرر والنفائس في النصوص التي التقطتها من بحر علم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

من حوافز البحث :

حوافز البحث كثيرة أنكر منها ما يلي:

(١) تناثر الكلام المتعلق بهذه المسألة العظيمة في ثنايا رسالتي المذكورة وكونها لما تطبع فهي في حكم المخطوطات لا يّطلع

عليها إلا الباحث المتخصص، وعليه فالفائدة منها قليلة.

(٢) مازال يحز في نفسي ما ينسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذه المسألة العظيمة حتى صار ذلك شائعاً ذائعاً بين الناس، ولم يقتنع من براءة شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم من القول بفناء النار إلا القليل وهم الذين حضروا المناقشة أو اطلعوا على الرسالة المذكورة.

(٣) ما حضني عليه معالي مدير جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح أحد شيوخي في العقيدة السلفية ـ جزاه الله خيراً ـ.
ومضمون ما حضني عليه: ألا تكتبُ بحثاً مستقلاً في هذه المسألة العظيمة .. وكان هذا إثر مناقشة رسالة جامعية قدمها أحد الباحثين لجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه، وقرر الباحث أثناء المناقشة أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار ..
علماً بأن هذا بعد مناقشة رسالتي التي قررت فيها براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار.

(٤) ومما زادني تشجيعاً على إعداد هذا البحث، كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح» و«شفاء العليل» و«مختصر الصواعق»[1] أثناء كلامه عن أبديّة النار ودوامها، فإنه أطال الكلام في هذه المسألة وذكر أن لشيخ الإسلام فيها قولين وبات إسناد القول بفناء النار إلى هذين الإمامين من الأمور المسلّمة عند كثير من الناس.

---

(١) اعتمدت على «مختصر الصواعق» لأني لم أجد الكلام على هذه المسألة في الصواعق ولعله سقط من الأصل لأن الطواغيت التي كسرها ابن القيم أربعة كما في المختصر وفي الأصل اثنان فقط. راجع الأصل المطبوع بتحقيق الدكتور: الدخيل الله، ط. الرياض للنظر في ذلك.

(٥) إسناد هذه المسألة العظيمة إلى شيخ الإسلام، ليس بالأمر السهل لاسيما إذا أثبت البحث العلمي براءته من ذلك، وبما أنه لم يسبقني - حسب علمي - أحد في الذبِّ عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة العظيمة، فإنه يتعين عليَّ ذلك وإلا فلا محيد عن الوعيد بكتمان العلم ولو في مسألة واحدة لاسيما كهذه المسألة الخطيرة.

أهـداف البحـث :

(١) معرفة مدى ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار.

(٢) هل يوجد لشيخ الإسلام كلام في هذه المسألة؟ وما هو إن وجد؟

(٣) ما هو كلام ابن القيم في هذه المسألة العظيمة؟

(٤) هل له موقف واحد أو مواقف متعددة؟

(٥) وما هو آخر موقف من مواقفه في هذه المسألة؟

(٦) وهل صرح العلامة ابن القيم بشيء في هذه المسألة عن شيخه ابن تيمية؟

(٧) ومن هو أول من أثار الكلام في هذه المسألة، أهو العلامة ابن القيم أم هو مسبوق بكلام غيره؟

(٨) أريد أن أتوصل - عن طريق البحث - إلى نتيجة علمية إن شاء الله تعالى، ثم أعلنها للناس مساهمة منّي في خدمة العلم، وتصفية ما علق به أو ببعض أئمته من الغبش الذي أثاره بعض الناس.

(٩) أريد طمس الاستفاضة - بشتى أنواعها - التي استفاضت، بل ورسخت في أذهان الكثير من الناس أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار بلا برهان، وأن يحل محلها كلام شيخ الإسلام

الصريح الثابت عنه بأبدية النار كما سيأتي.

(١٠) أريد أن أنبه بعض الذين يقرأون في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ينقلون منها، أن يتأنوا ويتأملوا أثناء القراءة، أو النقل كي يتأكدوا من الفرق بين ما يحكيه ابن تيمية عن الطوائف المختلفة ولا يقره، وبين كلامه الذي يتبناه ويعتقده. فكثيراً ما يحكي كلام غيره مطولاً في عدة صفحات، فيأتي القاريء ويقرأ قراءة مبتورة أو ينقل كلاماً مبتوراً من ذلك المحكي ظنًا منه أن هذا هو ما يعتقده أو يذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، والواقع أن الأمر ليس كذلك فهذا هو منشأ الغلط عند كثير من الناس، والله أعلم.

أهمـية البحـث :

تلك الحوافز والأهداف ترشح البحث إلى أن يكون ذا أهمية بالغة تستحق البحث والعناية، كيف لا وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ النار في القرآن الكريم ما يقارب خمسين ومائة مرة أنها نار تحرق الجلود وتقطع الأمعاء والقلوب، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم المهل والصديد، وسرابيلهم القطران والحديد .. ؟!

إن داراً هذه بعض صفاتها، أعدها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للكافرين والمشركين خالدين مخلدين فيها أبد الآبدين، كما أعدها للعصاة من المصلين الموحدين، الذين خرجوا من الدنيا وهم مصرّون على المعاصي ـ ماعدا الشرك بالله تعالى ـ وهؤلاء غير مخلدين، لكنهم تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، وذلك مقتضى عدله وحكمته، وإن شاء عفا عنهم ـ على خلاف في القتل عمداً ـ وذلك بمحض فضله وكرمه وعفوه وسعة رحمته، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاء﴾[1].

ولأحاديث الشفاعة المتواترة لفظاً أو معنى في خروج العصاة من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وبشفاعة الشافعين، وبمحض فضل الله تعالى وكرمه وعفوه، لغير المشركين.

إن داراً هذه بعض صفاتها، ونزلاء هذا مصيرهم، لجديرة بالبحث والتدقيق، لاسيما ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، من القول بفنائها ـ أي النار ـ.

ولما لهذه المسألة من الخطورة، فقد وصفها شيخ الإسلام بأنها عظيمة كبيرة، ووصفها تلميذه ابن القيم بأنها أكبر من الدنيا وما فيها.

كما وصفها ابن الوزير بأنها أم المتشابهات، وأغمض الخفيات، ومحارة علماء المعقولات والمنقولات.

منهجي في البحث :

(١) تتبعت الاستفاضة الموجودة في بعض الكتب، من أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار.
أما الاستفاضة الناطقة فأنا مرجعها، وأنا المسئول عنها بين يدي الله عزَّ وجل يوم القيامة، أسأل الله الثبات عند ذلك. ثم تتبعت شواهد الاستفاضة القديمة والحديثة بقدر الحاجة.

(٢) اقتطفت من بعض تلك الشواهد مقتطفات يسيرة بغرض الرد على منكريها.

(٣) ناقشت من تلك الشواهد ما يستحق المناقشة بأسلوب علمي هادئ بعيد عن الشتم والسباب إلا إذا أقذع صاحب الكلام على

---

(١) سورة النساء: ٤٨ ـ ١١٦.

شيخ الإسلام ابن تيمية وأفحش في القول، فجزاء سيئة سيئة مثلها، وهذا قليل جداً.

(٤) عرضت خلاصة كلام العلامة ابن القيم ومناقشته لأقوال الفريقين في هذه المسألة وما له من المواقف المتعددة فيها بإيجاز، ومن أراد التوسع فقد أشرت إلى مصادرها وصفحاتها.

(٥) عرضت أفكار الشيخين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية في المسألة بأسلوب سهل خال من التعقيد، ليفهمه الخاصة والعامة.

(٦) ذكرت أقوال العلماء في الآثار المروية عن بعض الصحابة في فناء النار من ناحية الجرح والتعديل، وعزوت ذلك إلى مصادره الأصلية.

(٧) اقتطفت من كلام ابن القيم نصوصاً متعددة، لارتباط بعضها ببعض، كررت بعضها عند الحاجة والمناسبة اقتداءً بمنهج القرآن الكريم، وأئمة الحديث في كتبهم لاسيما منهج الشيخين البخاري ومسلم وسائر أهل العلم رحمهم الله جميعاً.

(٨) نقلت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من كتبه المعتمدة بلفظه وحروفه لأتخلص من التهمة بتغييره ونقصه، وهذا ما تقتضيه الأمانة العلمية، ومن بركة العلم إسناد الأقوال والفضائل إلى أهلها وكنت أضع الجمل التفسيرية التي هي من تصرفي بين شرطتين كما ستراه إن شاء الله تعالى.

(٩) حاولت قدر الإمكان ربط النصوص التي نقلتها عن الشيخين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهما بالفكرة أو الموضوع الذي سيق النص من أجله وذلك بمقدمة موجزة تشرح الفكرة بلها، ثم تربطها بالنص المطلوب، وهذا مما يساعد القاريء أو الباحث على فهم ذلك بسهولة، ومن ثم يساعده على إبداء أي ملاحظة أكون قد أخطأت فيها من قبيل الربط أو الاستنباط.

(١٠) حاولت أيضاً التعليق على نصوص الشيخين كل نص بما يناسبه قدر الطاقة.

(١١) وضعت أسماء المصادر - غالباً - في صلبِ البحث وأشرت إلى أجزائها وصفحاتها في الحاشية، وقد أجمع ذكر المصادر في الصلب والحاشية.

(١٢) حاولت - قدر الإمكان - ترتيب الأفكار، مع ذكر الوفيات للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، لما يترتب على ذلك من الفائدة للباحث أرجو الله - عزَّ وجلَّ - أن أكون قد وفقت في هذا المنهج وأوفيته حقّه.

.. هذا وقد حان أوان الشروع في الموضوع بدءاً من الاستفاضة عن شيخ الإسلام ابن تيمية بفناء النار. فإن كنت مستغرباً أو منكراً، فبالبرهان تزول الغرابة والنكران، لكن ما مدى هذه الاستفاضة عن شيخ الإسلام بفناء النار؟

ندع الإجابة والحكم عليها لنتيجة البحث العلمي الخالص عن شوائب التحيز أو الجزاف، والله تعالى مطلع على لسان كل قائل، وقلمه، وقلبه، وقصده.

الاستفاضة عن ابن تيمية
بالقول بفناء النار وشواهدها

لقد استفاض على ألسنة كثير من الناس، أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار، وإن أنكر البعض فالواقع شاهد عدل على ذلك، وأنا على ذلك من الشاهدين، والله تعالى مطلع على ذلك، وكفى بالله شهيداً.

وما سأنكره من الشواهد على ذلك فإنما هو من باب استئناس الناس بكلام الناس.

وسبب هذه الاستفاضة ـ كما ظهر لي من خلال البحث ـ كلام العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتبه: «حادي الأرواح» وفي «شفاء الغليل» وفي «مختصر الصواعق المرسلة» اختصار الموصلي أثناء مناقشته للكلام في أبدية النار ودوامها وان فيها قولين معروفين عن السلف والخلف حكاهما عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وأن النزاع في ذلك معروف عن التابعين[1].

ولذلك وهم بعض العلماء في إسناد «حادي الأرواح» إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومعلوم أنه لتلميذه ابن القيم رحمة الله عليهما.

ولا تستغرب أيها المستنكر لهذه الاستفاضة فالشواهد عليها كثيرة أنكر منها ما يلي:

(١) ما نكره أبو بكر الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩هـ) في كتابه «دفع

---

(١) «حادي الأرواح»: ص٢٨٦، ط. مكتبة نهضة مصر ط. ثانية.

شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد» حيث قال: (مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار. واعلم أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفنى وأن الله تعالى يفنيها، وأنه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفنى، ويزول عذابها، وهو مطالب أين قال الله ـ عزَّ وجل ـ وأين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عنه؟ فادعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أيَّاماً مَّعْدُوْدَة﴾[1] ... فالرجل ساع خلف سلفه كما تقدم)[2].

انظر إلى هذه الجرأة على التفوّه بالإفك، فهذا الأفّاك الأثيم مطالب أين قال شيخ الإسلام ابن تيمية بفناء النار؟ وهذه مؤلفاته قد زخرت بها المكتبات والجامعات في شتى بقاع العالم.

ولو وجد هذا الكلام المنسوب إليه لأقام الدنيا وأقعدها خصومه قديماً وحديثاً، لتوافر الدواعي لديهم، ولما اطّلعتُ على الكتاب المذكور للحصني ظننت أني سأجد ضالتهم المنشودة خصوصاً مبحث الرد على ابن تيمية كما يزعم خصومه، ولكن رجعت بخفي حنين[3] لأني تتبعت هذا المبحث فلم أجد كلمة واحدة نقلها أو احتج بها المؤلف على شيخ الإسلام ابن تيمية لا تصريحاً ولا تلميحاً ..

وعلى كلِّ أفاك من الله تعالى ما يستحقه.

---

(١) سورة البقرة: آية ٨٠.

(٢) انظر هذا الكلام المفترى في الكتاب المنكور ص٥٨، ٥٩، ٦٠ ط. عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٥٠هـ.

(٣) مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة، قلت وما أحسن هذا اليأس والخيبة في هذه المناسبة. راجع المثل في مجمع الأمثال، للميداني جـ١، ص٢٩٦، مطبعة السنّة المحمدية سنة ١٣٧٤هـ.

هذا ومما ينبغي التنبيه إليه ما قاله هذا الجريء: (فادعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية). ويجاب بأن الكذب بل الإفك خصلة يهودية أين دعوى ابن تيمية بفناء النار؟!

(٢) ما ذكره ابن الوزير[1] (ت سنة ٨٤٠هـ) في كتابه: «العواصم والقواصم» وإيثار الحق على الخلق، وكلامه هو أول ما أثار

---

(١) هو الإمام محمد بن إبراهيم الشهير بابن الوزير، صاحب: «العواصم والقواصم في الذب عن سنّة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم» وهو رد على غلاة الزيدية المعتزلة وعلى رأسهم علي بن محمد بن أبي القاسم (ت سنة ٨٣٧هـ) أحد شيوخ ابن الوزير، لما قدح في صحة الرجوع إلى الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار الصحابية، وفي قواعد العلماء الأعلام صرح بهذا ابن الوزير في مقدمة كتابيه «العواصم» ومختصره «الروض الباسم»، والعواصم يتكون من أربعة مجلدات ضخمة مخطوطة يوجد بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء المكتبة الغربية التابعة للآثار اليمنية رقم٧٦، وأخرى في المكتبة ذاتها رقم٤٣٥، وثالثة في مكتبة الشيخ العبيكان بالرياض، ورابعة في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم٣٢ عقيدة مصورة عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا، وأخرى مصورة عن مكتبة جامعة استانبول بتركيا جـ١ رقم٢٤٣، جـ٣ رقم٢٤٤، جـ٣ رقم٢٤٥، جـ٤ رقم ٢١٠ حديث، وخامسة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فاتني رقمها.
وقد طبع الجزء الأول والثاني منه بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار البشير عمان ط. أولى، سنة ١٤٠٥هـ / ١٤٠٦هـ ولما ينته الجزء الأول المخطوط.
والغرض من تدوين هذه المعلومات عن هذا الكتاب العظيم الذي وصفه الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) بقوله: (وقد ساق ـ أي ابن الوزير ـ في العواصم من الآيات والأحاديث ما فيه مقنع للناظر .. ووشحه بفوائد وفرائد لا توجد إلا فيه، ولم تخرج إلا من فيه) انتهى بلفظه من كتاب توضيح الأفكار للصنعاني تحقيق محمد محي الدين جـ٢ ص٢١٣.
ونعته الإمام حسن صديق خان القنوجي الهندي (ت ١٣٠٧هـ) في كتابه «التاج المكلل» ص٣٤٠ و«أبجد العلوم» ص١٩٠ نعته بقوله: (وهذا الكتاب جدير بأن ينعته الشوكاني ت ١٢٥٠هـ بقوله: «يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في غيره من الكتب، ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله» وانظر «البدر الطالع» للشوكاني جـ٢، ص٩١. الغرض من تدوين هذه المعلومات عن هذا الكتاب العظيم بيان خطأ من قال لي ـ أثناء مناقشة جرت بيني وبينه عن المخطوطات ـ لما قلت أن «العواصم والقواصم» لابن الوزير فأجاب قائلاً: أنت أجهل من.. هذا الكتاب لابن العربي؟! ولست أدري هل سحب اعتراضه هذا بعد طبع الجزءين الأول والثاني كما ذكرت سابقاً أم لا؟ والله المستعان.

هذه المسألة في ذهني، أثناء حديثه عن المتشابه، لأن هذه المسألة عنده، من أشبه المتشابه، وكان في أول أمره يميل إلى القول بفناء النار، ثم توقف في آخر أمره.

قال ابن الوزير في ذلك: (وهذه المسألة ـ أي الحكمة من دوام العذاب الأخروي ـ هي التي ألجأت ابن تيمية وأسلافه، وأتباعه إلى القول بفناء النار، والتأليف في ذلك، وأشار الغزالي إلى نصرة قولهم في: «المقصد الأسنى» في شرح الرحمن الرحيم وجوّد الاحتجاج لهم في ذلك، وفي بعض مباحثه نظر)[1].

(٣) ما أشار إليه الحافظ ابن حجر (ت سنة ٨٥٢هـ) في «الفتح» أثناء شرحه لحديث ابن عمر الذي فيه ذبح الموت بين الجنّة والنّار ثم ينادي مناد يا أهل الجنّة لا موت يا أهل النّار لا موت ثم قال: (جمع بعض المتأخرين في هذه المسألة سبعة أقوال) ـ ثم سردها ـ والسابع: يزول عذابها ويخرج أهلها منها جاء ذلك عن بعض الصحابة، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر وهو منقطع ولفظه: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه».

وعن ابن مسعود: «ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد» قال عبد الله ابن معاذ راويه: «كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين». ثم قال الحافظ: (وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحدين. وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد)[2].

---

(١) انظر: «المقصد الأسنى» للغزالي ص٦٧ ـ ٦٩ حققه وقدم له الدكتور فضل شحاته ط. بيروت. وانظر «العواصم والقواصم» لابن الوزير جـ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ و(إيثار الحق على الخلق) له ص٢١٦-٢١٨.

(٢) «فتح الباري»: جـ١١، ص٤٢٢، المطبعة السلفية. وقد بحثت عن كلام السبكي المشار =

والأثر الذي أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن عمر هو الذي ذكره ابن القيم لأهل القول السابع وهو القول بفناء النار وقوى هذا الأثر بقوله: (... وحسبك بهذا الإسناد جلالة)[1].

والإسناد هكذا روى عبد بن حميد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال عمر. ثم ذكر الأثر المذكور.

وله سند آخر من طريق حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن[2]. وسيأتي الكلام على هذا الأثر قريباً إن شاء الله تعالى.

(٤) الكتاب الذي ألفه الأمير الصنعاني (ت سنة ١١٨٢هـ) بعنوان: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»[3].

والمراد بهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية كما هو صريح من كلام المؤلف المذكور في كتابه المذكور وسأذكر بعض النصوص منه قريباً إن شاء الله تعالى. ويلحق بهذا ما ذكره الشيخ الألباني في مقدمته لـ«رفع الأستار» للصنعاني سأذكر بعضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٥) ما ذكره صاحب «الفتوحات الإلهية» بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجلي الشافعي الشهير بالجمل (ت سنة ١٢٠٤هـ) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ

= إليه ولم أقف عليه.

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم: ص٢٨٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكتاب مطبوع منشور بتحقيق الألباني.

وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1]. قال عند ذلك: (وقد نقل ابن تيمية القول بفناء النار عن ابن عمر، وابن عمرو وابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وأنس والحسن البصري وحماد بن سلمة وغيرهم)[2].

ثم ذكر الأثر المروي عن عمر: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه». وقال: (رواه عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات).

قلت: هو ضعيف أو موضوع كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

وقال أيضاً: (وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: «ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد»). وقال أيضاً: (وحكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره، وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك، وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه ..)[3].

وقد بحثت عن هذين الأثرين الذين أسندهما إلى الإمام أحمد والبغوي ولم أجدهما في مظانهما.

(٦) ما ذكره معلق مجهول على «حادي الأرواح» لابن القيم حيث قال في الحاشية: (القول بفناء النار من فظائع ابن تيمية وابن القيم، والأدلة المذكورة في هذا الباب لا تنتج المطلوب لأنها مبنية على مغالطات ومراوغات)[4].

---

(١) سورة هود: آية ١٠٧.

(٢) «الفتوحات الإلهية» للعجلي: جـ٢، ص٤٢٥، ط. الحلبي.

(٣) المرجع نفسه: ص٤٢٥.

(٤) «حادي الأرواح»: ص٣١٥، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة نهضة مصر، ط. ثانية.

(٧) ما قاله عبد الله حجازي في كتابه «ابن القيم وموقفه من التفكير الفلسفي»[١] حيث قال: (وقد نقل هذا القول - أي القول بفناء النار - ابن تيمية عن أبي هريرة وعمر وابن مسعود وأبي سعيد وغيرهم كما في «حادي الأرواح»).

(٨) ما قاله محمد بن عبد الرحمن بن قاسم معلقاً على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «تلبيس الجهمية»[٢] أثناء كلامه على العرش بأنه لم يكن داخلاً فيما يقبض ويطوي، ويبدل ويغير، وأن بقاء الجنّة والنار بقاءٌ مطلقٌ، قال المعلق والمصحح المذكور: (وهذا مع ما يأتي **يكذب ما افتراه عليه أعداؤه من القول بفناء النار**).

(٩) ما قاله الشيخ شعيب الأرناؤوط معلقاً على كلام شارح «الطحاوية» لما ذكر ثمانية أقوال في أبدية النار ودوامها، وأن فيها قولين لأهل السنّة مع ما فيهما من النظر، أحدهما فناؤها قال: (هذا خطأ تابع فيه المؤلف رحمه الله - ابن القيم وشيخه، فليس لأهل السنّة في هذه المسألة إلا قول واحد وهو أن الجنّة والنّار لا تفنيان ...)[٣].

ثم ذكر رسالة للسبكي علي بن عبد الكافي بعنوان: «الاعتبار ببقاء الجنّة والنّار» وقد بحثت عنها ولم أجدها.

(١٠) ما ذكره الدكتور الغماري في كتابه «الإمام الشوكاني مفسراً» أثناء سرده لمؤلفات الإمام الشوكاني ذكر منها كتاباً بعنوان:

---

(١) الكتاب ذاته ص٢١٨.

(٢) جـ١، ص١٥٧ حاشية.

(٣) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز: ص٤٢٢ تحقيق: شعيب الأرناؤوط الناشر: مكتبة المؤيد، ط. أولى سنة ١٤٠١هـ.

«كشف الأستار في إبطال كلام من قال بفناء النار». وعلق على ذلك بقوله: (وقد رد ـ أي الشوكاني ـ على ابن تيمية وابن القيم وغيرهما في ذلك)[1].

قلت: ولعل هذا الكتاب هو ما أشار إليه الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» أثناء ذكره للأقوال الواردة في أوجه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ﴾[2] فقد ذكر عشرة أقوال ثم قال: (وقد أوضحت ذلك في رسالة مستقلة جمعتها في جواب سؤال ورد من بعض الأعلام)[3].

(١١) نوقشت رسالة ماجستير مقدمة من الباحث فيصل عبد الله لجامعة أم القرى بعنوان: «الجنّة والنّار والآراء فيهما» رجح صاحبها القول بفناء النار، وعلل ذلك بأنه يتفق مع رحمة الله الواسعة وكرمه الشامل، وعفوه الفياض، وحكمته البالغة، ولكنه لم يتعرض لما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لا نفياً ولا إثباتاً، ولا لموقف ابن القيم الأخير ـ كما في نظري ـ الذي صرح به في «الوابل الصيب» كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

(١٢) نوقشت رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى بقاعة المحاضرات الكبرى سنة ١٤٠٦هـ بعنوان: «القسم الثاني من كتاب الحجة في بيان المحجة» تحقيق ودراسة: الدكتور محمد أبو رحيم. وكنت ممن حضر المناقشة، وقرر الباحث إسناد القول بفناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، واعترض عليه أحد أعضاء

---

(١) «الإمام الشوكاني مفسراً» للدكتور: محمد حسن الغماري: ص٩٤، دار الشروق، ط. أولى سنة ١٤٠١هـ.

(٢) سورة هود: آية ١٠٧.

(٣) «فتح القدير» للشوكاني: جـ٢، ص٥٢٥، ط. الحلبي، ط. ثانية سنة ١٣٨٣هـ.

لجنة المناقشة قائلاً له: من أين لك هذا؟ فأجاب قائلاً: من «حادي الأرواح» ومعلوم أنه لابن القيم لا لشيخه ابن تيمية.

ثم قال له المناقش المذكور: إن هذه المسألة قد كثر فيها الكلام، وقد حققها فلان ... وذكر اسمي ـ لأنه كان عضواً في لجنة المناقشة لرسالتي التي تعرضت فيها لهذه المسألة العظيمة ولكن بإيجاز.

(١٣) الاستفاضة الناطقة بين كثير من أهل هذا الشأن ـ التي وجدتها أثناء البحث في هذه المسألة.

وإني لأشهد وأكرر شهادتي التي سوف أسأل عنها بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة على هذا.

(١٤) قال لي أحد المدرسين بجامعة أم القرى إنّ باحثة من أقاربه وجدت أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار، فطلبت منه بإلحاح أن يأتيني بالمرجع، أو يذكره لي، فواعدني مواعيد عرقوب[١].

وقد تركت بعض الشواهد مثل ما ذكره الألوسي في كتابه «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» وما ذكره الشيخ الألباني في مقدمة «رفع الأستار» وغيرهما مخافة التطويل فليراجع ذلك من يشاء[٢].

---

(١) مثل يضرب في خلف الوعد، وهو أن صديقاً أتى عرقوباً هذا يسأله فقال له عرقوب إذا اطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما اطلعت قال دعها حتى تصير بلحاً، فلما أبلحت قال دعها حتى تصير زهواً فلما زهت قال دعها حتى تصير رطباً، فلما أرطبت قال دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب في الليل فجذها ولم يعط السائل شيئاً. انظر: «مجمع الأمثال» لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني: جـ٢، ص٢١١، تحقيق: محمد محي الدين، ط. السنة المحمدية سنة ١٣٧٤هـ.

(٢) انظر: ص٤٧٨ ـ ٤٧٩ من «جلاء العينين» لنعمان الألوسي، ومقدمة «رفع الأستار» للألباني من أولها إلى آخرها.

هذا وإنما ذكرت هذه الشواهد رداً على من أنكر هذه الاستفاضة فما مداها من حيث الصحة وعدمها؟

نترك الإجابة والحكم عليها لنتيجة البحث العلمي إن شاء الله تعالى.

أما ما قيل عن ابن القيم في هذه المسألة فإنه لا يحتاج إلى استشهاد لأنه موجود في كتبه ولا غبار عليه وإنما الغبار على ما نسب إلى شيخ الإسلام من القول بفناء النّار.

والآن ننتقل إلى تساؤل آخر وهو: ما سبب هذه الاستفاضة وما الهدف منها ؟.

أسباب الاستفاضة وتقسيم الناس في الهدف منها :

أسبابها كثيرة من أبرزها ـ كما ظهر لي من خلال البحث ـ كلام العلامة ابن القيم رحمه الله أثناء مناقشته للمسألة في «حادي الأرواح» له وفي «مختصر الصواعق المرسلة» الذي اختصره الموصلي، وفي «شفاء العليل» لابن القيم حتى وهم بعض العلماء في إسناد «الحادي» إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومعلوم أنه لتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية، ثم إن الناس في ذلك بالنسبة للهدف أقسام:

القسم الأول: قوم امتلأت نفوسهم حسداً على شيخ الإسلام ابن تيمية ـ لما منحه الله من العلم بالمنقول والمعقول ـ وتطور هذا الحسد إلى عداوة بيّنة أدت إلى إثارة الفتن والمحن والقلاقل ضده، وحصلت بينه وبين هؤلاء خصومات ومناظرات بين يدي بعض الأمراء. ولما أفحمهم بالبراهين السمعية والعقلية، وعجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة، لجأوا إلى أسلوب العاجز المفحَم بشنِّ الدعايات الكاذبة، والأباطيل المزخرفة، للتشهير والتشنيع.

وهؤلاء هم أهل الأهواء والبدع ابتداءً بابن مخلوف والزملكاني

والاخنائي وأضرابهم مروراً بالكوثري وأضرابه وانتهاءً بأبي غدة وأمثاله من المعاصرين. والدليل على ذلك ما حوته كتب الطبقات والتراجم والردود القديمة والحديثة[1].

القسم الثاني: قوم وجدوا كلام ابن القيم، ومناقشته للمسألة مناقشة حيرت الفحول من أرباب المعقول والمنقول حتى وهم بعض هؤلاء في نسبة «حادي الأرواح» لابن تيمية، ومعلوم أنه لابن القيم كما سبق.

ومن هؤلاء من حار في المسألة ثم توقف ـ بعد أن كان يميل إلى القول بفناء النار ـ كالعلامة ابن الوزير في كتابه «العواصم والقواصم في الذبِّ عن سنّة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم» وفي كتابه: «إيثار الحق على الخلق»[2] فقد زاد الطين بلّة ..

فقد صنف مصنفاً مستقلاً بهذه المسألة سماه: «الإجادة في الإرادة» وهي قدر ألف ومائتي بيت أو تزيد كما قال ابن الوزير، ولم أطلع عليها بعد البحث الشديد، وإنما يوجد منها أبيات متناثرة في مؤلفاته نكر منها أربعة وخمسين بيتاً تقريباً في كتابه «الإيثار» المذكور آنفاً، وذلك أثناء كلامه على إثبات حكمة الله عزَّ وجلَّ في أقواله وأفعاله وتعرضه لقول بعض الطوائف الذين قدحوا في معنى

---

(١) راجع كتب الطبقات والتراجم والردود فقد حفلت بمحاسن هذا الإمام الجليل، ومؤلفاته التي سارت بها الركبان في معظم البلدان وقد عدها بعضهم إلى ثلاثمائة وبعضهم أكثر من نلك والمكتبات الإسلامية والجامعات والمعاهد والمدارس تشهد بنلك، بل مؤلفاته ذاتها خير دليل على نلك وعلى سبيل المثال راجع «العقود الدرية» لابن عبد الهادي و«الأعلام العلية» للبزار و«البدر الطالع» للإمام الشوكاني ولست أيها القارىء بحاجة إلى نكر الجزء والصفحة والطبعة فالإشارة إلى البعض تغني عن الكل رحم الله هذا الإمام وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(٢) انظر: «العواصم والقواصم» لابن الوزير: جـ٢ وهم ٢٨ ص٢٢٩ و«إيثار الحق» له ص٢١٦ ـ ٢١٨ ط. بيروت.

الحكمة كغلاة الأشعرية والذين قدحوا في القدرة على هداية العصاة كغلاة المعتزلة والذين قدحوا في دوام عذاب الأشقياء ثم قال:

(وأما ابن تيمية وأصحابه فرأوا أن القدح في الحكمة والقدرة يتطرق إلى النقص في كمال الربوبية وذلك يحتمل الكفر ويضارعه أو يقرب منه.

وأما دوام العذاب فالقدح فيه عندهم سهل بعد ورود الاستثناء في غير آية وحديث، وأثر ومنتهاه تخصيص عموم بما يقتضي زيادة الرحمة والحكمة والعدل والثناء، ولي على الجميع كلام طويل، وقد أشرت إلى أقوالهم وشبههم في «الإجادة» بأقصر عبارة ..)[1].

ولعلاقتها بالبحث اقتطف[2] منها ما يلي:

فمن قائل بالخلد من أجل كثرة الـ
وعيد به في المنزلات القواصم[3]
ومن قائل ان الخصوص مقدم
وساعده أسماء أحكم حاكم[4]
وثالثها المنصور يرجى لمسلم
ومن عاند الإسلام ليس بسالم[5]

---

(١) انظر: «العواصم والقواصم» لابن الوزير: جـ٣، وهم ٢٨، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤، و«إيثار الحق على الخلق» له: ص٢١٦ ـ ٢١٨.

(٢) هذا الاقتطاف مخل بالمعاني لأنها مترابطة لذلك أنصح القارىء بالرجوع إلى الأصل وأسلوب «الإجادة» أسلوب علمي كما ترى.

(٣) إشارة إلى قول الوعيد به من الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم بخلود مرتكب الكبيرة.

(٤) إشارة إلى ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه كما في نظر ابن الوزير ـ ولكن دون هذا بيض الأنوق.

ـ الأنوق الرخمة تضع بيضها حيث لا يوصل إليه بعداً. وهو مثل يضرب للشيء يتعذر وجوده. انظر: «مجمع الأمثال للميداني» ص٢٦٤.

(٥) إشارة إلى مذهب السلف بأن الخلود في حق الكفار والمشركين وأما العصاة الموحدون فقد تواترت الأدلة على خروجهم من النار.

وجاءت أحاديث الصحاح[1] توافق الـ
قـول بثنيـا الـرب أرحـم راحـم

وطول في الثاني ابن تيميةٍ فقف
علـى علمـه فـي كتبـه والتراجـم

وأسنـده إلـى ستـة نص قولهـم
أكابـر مـن صحب النبـي الأكـارم

فـلا تعتقـد إن لـم يصح كلامهـم[2]
وبـان ضعيفـاً ساقطـاً كفـر عالـم

فما هو إلا حسن ظن فإن يجب
فما ينقص الرحمن رجوى المراحم

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن رحمتي سبقت غضبي» وفي رواية: «غلبت» البخاري: جـ٨، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ ص٢١٦، ط. استانبول، ومسلم: جـ٤، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى ص٢١٠٧ ـ ٢١٠٨ وإلى حديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّته أحد» مسلم: جـ٤، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ص٢١٠٧، توزيع الإفتاء. وما في معنى هذا من الأحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

(٢) الضمير عائد إلى ابن تيمية ومن تابعه كما في نظر ابن الوزير أو على الستة المذكورين في البيت قبل هذا.

ثم أن ابن الوزير لم يسند هذا إلى ابن تيمية بقصد التشهير أو الاستنكار وإنما يريد بذلك ـ كما ظهر لي من خلال البحث والله أعلم ـ الاستشهاد به على خصومه من المعتزلة القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة في النار من الموحدين، وإذا كانت هذه المعركة في حق الكفار والمشركين فما بالكم في حق العصاة من المسلمين وهذا في معرض الجدل مشهور.

وابن الوزير نفسه ـ كما ظهر لي من كلامه ـ متحير في هذه المسألة والذي حيره هو كلام ابن القيم فيها ولم يطلع ابن الوزير على كلام ابن القيم في «الوابل» ولو اطلع عليه لذكره في مؤلفاته وخاصة في الكلام على هذه المسألة. ومن الأدلة على حيرة ابن الوزير أنك تجده أحياناً يحكي الأقوال ويستحسن القول بفناء النار في حق الموحدين وأحياناً يحكي الأقوال ويقول هذا القول هو المنصور. والأحوط وهو القول ببقاء عمومات الوعيد في حق غير أهل القبلة وأحياناً يستحسن التوقف.

والظاهر أنه آخر موقف له في المسألة. والله أعلم.

تعقيب على كلام ابن الوزير :

لقد عانيت معاناة شديدة في البحث عما أسنده الإمام ابن الوزير إلى شيخ الإسلام ابن تيمية - على الجميع رحمه الله تعالى - معاناة لا يعلمها إلا الله - سبحانه - ثم من عاناها بشتى طرق البحث.

وبما أن هذه المسألة من أصعب المسائل، وأشبه المتشابه التي حارت فيها - كما في نظر ابن الوزير - عقول أهل المعقول والمنقول بل من سر القدر الذي لا يعلم حقيقته إلا الله - سبحانه - فقد سبق في علم الله - عزَّ وجلَّ - أن ابن الوزير سيخالف منهجه الذي سلكه - غالباً - ومن ذلك إسناد الأقوال إلى أصحابها ومصادرها وأجزائها وأبوابها وفصولها.

وفي هذه المسألة فاته ذلك حيث أسندها إلى شيخ الإسلام بدون إشارة إلى أي مرجع في أكثر من موضع في كتبه، وعليه فأقول:

إنه قد غلب على ظني أن ما نسبه ابن الوزير إلى ابن تيمية في هذه المسألة العظيمة إنما هو اعتماد على كلام ابن القيم، أو إنما أخذه من كلامه في «حادي الأرواح» و«شفاء العليل» وغيرهما من كتب ابن قيم الجوزية ظنًّا منه أن هذا كلام ابن تيمية نقله عنه ابن القيم حتى وهم في بعض المواضع أن «حادي الأرواح» لابن تيمية، ومعلوم أنه لتلميذه ابن قيم الجوزية كما سبق أن ذكرت ذلك.

ولو كان ابن الوزير أو غيره حيًّا لطالبناه بالبرهان على ذلك وهيهات هيهات لما سيأتي من النصوص عن ابن تيمية ..

وعليه فيكون ابن الوزير وغيره قد وهموا في هذه المسألة. والكمال لله وحده.

والوهم النادر لا يحط من مكانة العالم، فقد يقع للثقة أو للعالم

وهم أو أوهام يسيرة فلا يخرجه عن كونه ثقة أو عالماً.

وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه، **«وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة صلى الله عليه وسلم»**[(١)] و**«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**[(٢)].

ومن هؤلاء أيضاً من اقتطف بعض الكلام من «حادي الأرواح» لابن القيم، وأسند الكلام إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ثم مضى يرد ويستشهد بما في «الحادي» كالعلامة الصنعاني (ت سنة ١١٨٢هـ) فإنه صنف كتاباً بعنوان: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»[(٣)].

والمراد بهم أبو العباس بن تيمية، وتلميذه أبو عبد الله بن قيم الجوزية وقال الصنعاني في مقدمة كتابه المذكور: (اعلم أن هذه المسألة أشار إليها الرازي ت سنة ٦٠٦هـ في «مفاتيح الغيب»[(٤)] ولم يتكلم عليها بدليل نفي ولا إثبات، ولا نسبها إلى قائل معين، ولكنه استوفى المقال فيها العلامة ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح إلى ديار الأفراح» نقلاً عن شيخه شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، فإنه حامل لوائها، ومشيد بنيانها، وحاشد خيل الأدلة فيها ورجلها ودقها وجلها، وكثيرها وقليلها، وأقر كلامه تلميذه ابن القيم. وقال في آخرها: إنها مسألة أكبر من الدنيا وما فيها بأضعاف مضاعفة).

---

(١) هذه الكلمة مأثورة عن إمام دار الهجرة كما في «كشف الخفاء» للعجلوني: جـ٢، ص١٧٣.

(٢) «سنن الترمذي بتحفة الأحوذي»: جـ٧، ص٢٠٢، و«سنن ابن ماجه»: جـ٢، كتاب الزهد، ص١٤٢٠، «مسند الدارمي»: جـ٢، ص٢١٣، و«مسند أحمد»: جـ٣، ص١٩٨ وفيه مقال.

(٣) «رفع الأستار» للصنعاني: ص٣٦ وانظر ما بعدها.

(٤) المشهور بتفسير الرازي: جـ١٨، ص٦٤ ـ ٦٨، ط. المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠١هـ.

وحاصل الرد الموجه من الصنعاني أن مستند شيخ الإسلام الآثار المروية عن بعض الصحابة في فناء النّار منهم عمر وابن مسعود، وأن بعضها ضعيف وبعضها موضوع، وبعضها ليس في محل النزاع، وعلى فرض صحتها فهي في حق الموحدين وسيأتي الكلام على هذه الآثار إن شاء الله تعالى.

تعقيب على كلام الأمير الصنعاني :

إنك إذا ما قارنت بين كلام ابن القيم في «الحادي» وبين كلام الصنعاني هذا المذكور تجد أن النصوص التي اقتطفها، وأسندها إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ورد عليها غير مسلّمة أنها من كلام ابن تيمية، بل تلميذه ابن القيم لم يسندها إليه إلا في مواضع قليلة على سبيل الحكاية عن أصحابها.

أما كون ابن القيم استوفى الكلام في المسألة فلا غبار عليه، فـ «شفاء العليل» و«الحادي» و«الصواعق» بل «مختصره» يشهد بذلك لكن على سبيل حكاية الأقوال ومناقشتها مع الميل والتأييد لقول القائلين بالفناء ثم ما قرره في «الوابل» من أبدية النار هذا لا غبار عليه وإنما الغبار على كلام الأمير الصنعاني الآنف الذكر من أن شيخ الإسلام حاشد خيل الأدلة ورجلها في المسألة، لأنه لم يشر إلى مصدر فيها لابن تيمية إطلاقاً.

وإنما اعتمد علي «حادي الأرواح» وهو بلا شك لابن القيم وهو الذي ينطبق عليه وصف الصنعاني لا شيخ الإسلام فهل يعد هذا وهماً؟ نعم إنه الوهم الثاني على ابن تيمية لما سبق ذكره، ونرد على هذا أيضاً بما رددناه على ابن الوزير رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

ولقد كان المحقق الألباني منصفاً لما تتبع فقرات «رفع الأستار»

للصنعاني فقرة فقرة وعلق عليها تعليقاً علمياً دقيقاً، فحينما يقول الصنعاني مثلاً قال شيخ الإسلام ابن تيمية كذا وكذا، والواقع أنه ليس من كلامه ولا أسنده إليه، ولا حكاه عنه تلميذه ابن القيم علق عليه المحقق المذكور بالرد المطابق للواقع إلا أنه يستدرك أحياناً بأنه لا يبعد أن يكون ابن القيم تلقى الفكرة من شيخه، ثم صاغها بأسلوبه الجذاب.

قلت: ولكن هذا لا يتناسب مع ما سيأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه، بل يناقضه مناقضةً تامةً ويفضح كل من نسب ذلك إلى ابن تيمية كائناً من كان.

وأما الآثار المروية عن بعض الصحابة في فناء النار منهم عمر وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم التي ذكرها الصنعاني وغيره وأن بعضها ضعيف وبعضها موضوع وبعضها ليس في محل النزاع، وعلى فرض صحتها فهي في حق الموحدين، فهي كذلك، وقد حملها الحافظ ابن حجر ـ على فرض صحتها ـ على الموحدين.

وأما حديث أنس مرفوعاً: «ليأتينّ على جنّم يوم تصفق فيه أبوابها، وما فيها من أمة محمد أحد» وحديث أبي أمامة مرفوعاً أيضاً: «يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم أحد، تخفق فيه أبوابها يعني من الموحدين» فموضوعان قرر ذلك الألباني محقق «رفع الأستار» للصنعاني وقد سبقه ابن الجوزي إلى الحكم بالوضع[1].

---

(١) أثر عمر السابق ذكره أورده الحافظ في «الفتح»: جـ١١، ص٤٢٢، وأسنده إلى تفسير عبد بن حميد من رواية الحسن وقال: منقطع وهو من الضعيف وسيأتي أن ابن القيم قوى ذلك في «الحادي» وفي «الشفا» وأما حديث أنس وأبي أمامة مرفوعان فموضوعان كما قال ابن الجوزي في «الموضوعات»: جـ٣، ص٢٦٨، وانظر: «رفع الأستار» للصنعاني: ص٢٨، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني: رقم٦٠٦.

وحديث أنس معناه صحيح في أمة الإجابة لا في أمة الدعوة، بدليل الكلمة التفسيرية في آخر حديث أبي أمامة وحديث أنس رواه ابن عدي في «الكامل» من طريق العلاء بن زيدل عن أنس وهو يحدث عن أنس بأحاديث عداد مناكير[1].

هذا ومازال يحز في نفسي ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية من إسناد القول بفناء النار فأواصل البحث من جديد، وقد وجدت أن الألباني ذكر في مقدمة «رفع الأستار» للصنعاني أنه وقف على ثلاث صفحات في مخطوطات المكتب الإسلامي، جمعها زهير الشاويش، نقلها كاتب مجهول بخط لعله ـ كما ذكر الألباني ـ من خطوط القرن الحادي عشر الهجري، من رسالة لابن تيمية، في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار، وصورتها في باطن الكتاب المذكور للصنعاني، وما حوته يشبه ما في «الحادي» لابن القيم، من ذلك حكاية خلاف السلف والخلف في هذه المسألة حيث قال: (وأما القول بفناء النّار ففيها قولان معروفان للسلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عند التابعين ومن بعدهم ..)[2].

وهذا يدل ـ لو فرض صحته ـ على أن بعضاً من كلام ابن القيم استساغه من أفكار شيخه بأسلوبه العذب الجذاب بل المحير للعقول.

لكن إسناد هذه الصفحات الثلاث المخطوطات يفتقر بشدة إلى الشروط المتبعة في مناهج البحث والتحقيق، كما هو معلوم عند أهل هذا الشأن ومعارض بما سيأتي من كلام شيخ الإسلام، المناقض لكل ما نسب إليه من القول بفناء النار، ومن ذلك الصفحات المجهولة

---

(١) انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» للحافظ ابن عدي الجرجاني: جـ٥، ص١٨٦٠ ـ ١٨٦١، ط. دار الفكر ط. ثانية سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر: الصفحات الثلاث المصورة في باطن «رفع الأستار» للصنعاني ص٥٣، ٥٤، ٥٥.

المبتورة التي اعتبرها الشيخ الألباني لابن تيمية حيث قال: (... نقلها كاتبها الذي لم يكشف عن هويته، من رسالة ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار)[1]. ثم إنه لا دلالة فيها على ابن تيمية أنه يقول بفنّاء النار لأن عنوانها صريح في الرد على من قال بالفناء. وقد اقتطف الألباني منها نصوصاً للاحتجاج بها على ابن تيمية، من ذلك قوله: (فكيف يقول ابن تيمية: ولو قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة ألبتة، فكأن الرحمة عنده، لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين، أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية، وبُعْدِهِ هو ومن تبعه عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة)[2].

فيقال هذا يحتاج إلى إثبات أن الصفحات الثلاث التي أخرجت من الدش ومجهولة الكاتب ـ كما ذكر ـ لابن تيمية وأنَّى هذا وكلامه يناقض ما نسب إليه مناقضةً تامةً كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

لكن نقول لمن يدعي أن هذه الثلاث الصفحات المخطوطات المذكورة برهن على دعواك، وإذا أثبت إثباتاً كاملاً أنها لشيخ الإسلام ابن تيمية فلنا بعد ذلك جواب إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فعنوان الرسالة ـ على فرض نسبتها إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ صريح في أنها رد على من يقول بفناء الجنّة والنّار.

القسم الثالث من الناس: الذين أسندوا القول بفناء النّار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، هم المقلدة، سمعوا كلاماً من بعض الناس فقلدوهم فيه، بدون بحث ولا هدف، ومن بين هؤلاء بعض المنتسبين

---

(١) «مقدمة رفع الأستار»: ص٨ وانظر: ما بعدها.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٥ وما بعدها.

إلى العلم.

فهؤلاء، والحالة هذه: لا يعاب عليهم إلا التقليد، لأنهم أو بعضهم ليسوا من أهله، ولا ينبغي لهم أيضاً، وأقل تقدير أن يطالبوا من ينشر هذا الكلام بالدليل.

ولكن ـ مع شديد الأسف ـ شاع وذاع بين الأوساط العلمية، وتكرر على الألسن، ورسخ في أذهان كثير من الناس أن ابن تيمية يقول بفناء النّار والله المستعان على ما يصفون.

القسم الأخير من الناس: هم المتشككون في المسألة لا يجزمون بنفي ولا إثبات، وإنما يقولون ـ كما سمعت من بعضهم ـ تشم رائحة القول بفناء النار، من كلام ابن تيمية، أين هذا الكلام الذي تشم منه هذه الرائحة غير الطيبة؟! .. وسيأتي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تفوح منه الروائح الطيبة عند أصحاب الحواس السليمة، بل هو صريح بأبديّة النّار المطابقة لقواطع الكتاب والسنّة وإجماع الأمة، وسيكون علاجاً شافياً للأنوف المزكومة إن شاء الله تعالى.

والآن إلى مقتطفات من كلام ابن القيم في هذه المسألة.

مقتطفات من مناقشة ابن القيم للمسألة :

بما أن الدعوى الموجهة من الخصوم أو بعضهم مرتبطة بالشيخين معاً، وأن المصدر الأساسي لهذه المسألة «حادي الأرواح» لابن القيم، فلابد من ذكر مقتطفات من مناقشته للمسألة، مع ذكر مقتطفات من مصادر أخرى له. وبناء على هذا فإنه من الواضح أن الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ ذكر هذه المسألة وناقشها، وأطال الكلام فيها بنفسه الطويل، وبأسلوبه العلمي الجذاب، بل المحير للفحول من ذوي المعقول والمنقول، حتى أنه ليستميل القاريء

بسحره الحلال ـ لما أوتي من البيان ـ لما يتكلم في وجه من الوجوه، حتى أن القاريء ليظن أن ذلك هو الصواب حتى إذا ما انتقل إلى وجه آخر يتعلق بالمسألة ذاتها ظن ما ظنه قبل ذلك.

وهو إذا تكلم في مسألة ما، قلما يحتاج الناظر بعده إلى النظر في مراجع أخرى، من أي علم كانت، لكثرة ما يورد فيها من الأقوال والوجوه، والمناقشات والأدلة، ماعدا هذه المسألة، ففي كلامه ـ رحمه الله ـ نظر.

وقد نظر بنفسه في كلامه الذي أيد القول فيه بالفناء في كتبه الثلاثة «الحادي» و«مختصر الصواعق» اختصره الموصلي و«الشفاء» وقد رجع عن ذلك إلى القول بأبدية النّار كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

فقد ذكر لشيخ الإسلام في هذه المسألة قولين : وهذا نص كلام ابن القيم: (فصل وأما أبدية النّار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين)(١).

ثم علق عليه بقوله: (قلت: هاهنا أقوال سبعة)(٢).

ثم ذكرها وأسندها إلى قائليها، وناقشها وردها إلا قولين هما الرابع والسابع الآتي ذكرهما.

ففي القول الرابع منها أنها تبقى ناراً على حالها، ليس فيها أحد يعذب، وقال: حكاه شيخ الإسلام والقرآن والسنّة يردان على هذا القول.

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم: ص٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٦.

والقول السابع: قول من يقول بفنائها، أي يفنيها ربُّها وخالقها - تبارك وتعالى - لأنه جعل لها أمداً تنتهي إليه، ثم تفنى ويزول عذابها.

وقال ابن القيم: (قال شيخ الإسلام، وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم)[1].

ثم ذكر الآثار الواردة عن بعض الصحابة، منها أثر عمر رضي الله عنه: «لو لبث أهل النار في النار قدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه»[2].

وهو صريح في الخروج لا في الفناء، وهذا الأثر رواه عبد بن حميد في تفسيره كما قال ابن القيم وغيره، وقد بحثت عنه ولم أقف عليه، وسنده هكذا: (حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر: «لو لبث ...» وقال: حدثنا حجاج ابن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: «لو لبث ...».

وقال ابن القيم: (وحسبك بهذا الإسناد جلالة)[3].

وأن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4] تأتي على كل وعيد في القرآن الكريم.

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم: ص٢٨٧.

(٢) رواه عبد بن حميد وفي سنده مقال بل ضعيف وعلته الحسن البصري متكلم فيه انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني: جـ٢، ص٧٣، ط. المكتب الإسلامي. ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»: جـ٣، ص٢٦٨ نشر السلفية ط. أولى سنة ١٣٨٦هـ عن أبي أمامة مرفوعاً: «يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم واحد تخفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين».

(٣) «حادي الأرواح»: ص٢٨٨.

(٤) سورة هود: ١٠٦ - ١٠٧.

وأن ما ذكر من الآثار ـ عن عمر وغيره ـ الدالة على فناء النار لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[1] وأمثال ذلك من الآيات.

وقد نصر ابن القيم القول بفناء النّار وأيده بالأدلة وطول في ذلك.

ثم ذكر أقوال الذين قطعوا بدوام النّار وأدلتهم السمعية والعقلية من ستة أوجه، ولم ينصرها كما نصر القول بالفناء، مع أن إجماع الصحابة والتابعين الذي حكاه ابن القيم نفسه للقائلين بعدم الفناء من أقوى أدلتهم على أبديّة النّار.

كما حكى عن القائلين بفنائها أن هذا الإجماع غير معلوم، وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع، وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً.

بل لو كلف مدعي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النّار لا تفنى لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وقد نقل عنهم التصريح بخلاف ذلك[2].

وليس مورد النزاع كون الكفار خالدين فيها، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون وأن

---

(١) سورة الحجر: آية ٤٨. ومن الملاحظ أن الإمام ابن القيم استدل بهذه الآية في سياق ذكر النار في عدة مواضع في كتبه، ومعلوم أنها في سياق ذكر الجنّة ولم أجد آية بهذا اللفظ في القرآن الكريم إلا في سياق الجنّة إلا إذا كان يريد الآية التي في سورة المائدة: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ أي النار آية ٣٧ ... لكن لا يجوز رواية أو قراءة الآيات القرآنية بالمعنى.

(٢) انظر التفاصيل في «الحادي» لابن القيم ص٢٨٦ ـ ٢٩٥ و«مختصر الصواعق» له اختصره الموصلي: جـ١، ص٢٢٥ ـ ٢٣٩ و«شفاء العليل»: ص٤٢٥ وما قبلها وما بعدها. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط. أولى سنة ١٤٠٧هـ.

عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وإنما النزاع في أمر آخر وهو: هل النار أبدية، أو مما كتب عليه الفناء؟؟

والنصوص تقتضي خلود أهل النار فيها مادامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها.

والفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، ومن يبطل حبسه بخراب الحبس واضح[1].

ومن أقوى أدلة القائلين الذين قطعوا بدوام النار، أن عقائد السلف، وأهل السنّة، مصرحة بأن الجنّة والنّار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

وأجيب بأن هذا في الجنّة والنّار، وأما النّار وحدها فقد أوجدنا لكم من قال به من الصحابة وتفريقها بين الجنّة والنّار، فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع ..

والذي يعد من هذا النمط هو ما يخالف الكتاب والسنّة، وإجماع الأمة، من الصحابة أو من بعدهم[2].

ثم قال في آخر هذا الفصل الذي نكر فيه قول الذين قطعوا بدوام النّار من ست طرق قال في آخره:

(والذي أخبر به أهل السنّة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنّة، وأجمع عليه السلف أن الجنّة والنّار مخلوقتان وأن أهل النّار لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يفتر عنهم، وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النّار لا تفنى فإنما قاله لظنه أن

(١) انظر: «الحادي»: ص٢٩٤ وما قبلها وما بعدها، «مختصر الصواعق»: ص٢٢٥ وما قبلها وما بعدها.

(٢) «الحادي»: ص٢٩٥ وما قبلها.

بعض أهل البدع قال بفنائها، ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها، قالوا: وأما حكم العقل بتخليد أهل النّار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب، فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.

والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب، إجمالاً، وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده، وإنما علم بالسمع.

وقد دل السمع دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين.

وأما انقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال.

فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب، وبالله التوفيق)[1].

ثم عقد ابن القيم فصلاً مستقلاً في الفرق بين دوام الجنّة والنّار شرعاً وعقلاً، وأيد القول بفناء النّار من خمسة وعشرين وجهاً شرعية وعقلية.

وفي نهاية هذا الفصل قال: (وليس من الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها، ولا انقطاع أبداً، فتكون هي والخيرات على حد سواء، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب. فإن قيل فإلى أين انتهت قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة، قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2]. وإلى

---

(١) «الحادي» ص ٢٩٥ـ٢٩٦ .

(٢) سورة هود: آية ١٠٧ .

هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء. بل هنا انتهت أقدام الخلائق)[1].

والظاهر من كلام العلامة ابن القيم ـ كما ترى ـ أنه لم يجزم بالقول بفناء النّار، وإنما مال إلى ذلك لأنه قواه وأيده، بما لم يؤيد به القول بدوامها.

وقد رجح هذا صاحب «الجنّة والنار والآراء فيهما» كما ذكرت سابقاً. وعلل ذلك بأنه يتفق مع رحمة الله الواسعة، وكرمه الشامل، وعفوه الفياض، وحكمته البالغة.

كما يظهر أن ابن القيم حصل له التوقف عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ولقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه المذكور آنفاً. والله أعلم.

كما حصل له التوقف في موضع آخر في كتابه «مختصر الصواعق»[2] فقد سرد في هذه المسألة ثمانية عشر وجهاً تشبه الوجوه التي في «الحادي» فقد أشار إلى التوقف في الوجه الرابع بقوله: (... فإن أسفر لك صبح الصواب وإلا فرد الحكم إلى ما رده الله إليه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وتمسك بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكر دخول أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، وصف حالهما ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء)[3].

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم: ص٣١٤.

(٢) اعتمدت على «مختصر الصواعق» لأني لم أجد هذا الكلام في الأصل المطبوع بتحقيق: الدكتور الدخيل الله، ط. الرياض ولعله ساقط، لأن المختصر فيه ذكر الطواغيت الأربعة التي كسرها ابن القيم والأصل ليس فيه إلا اثنان فقط. فلينظر في ذلك.

(٣) «مختصر الصواعق»: جـ١، ص٢٢٩ وما قبلها وما بعدها.

تعليق على كلام الإمام ابن القيم :

ليس في وجود كلام ابن القيم نزاع فقد ناقش المسألة كما رأيت سابقاً، وإنما النزاع في إسناد القول بفناء النّار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وإسناد هذه المسألة العظيمة إلى شخص كابن تيمية، لم يقلها، ولم يعتقدها، ليس بالأمر اليسير.

ثم إن كلام ابن القيم الموجود في «الحادي» ليس صريحاً في الإسناد إلى ابن تيمية.

بل كل ما فيه إشارات إلى أن شيخ الإسلام حكى بعض هذه الأقوال كما حكاها غيره من أهل السنّة والجماعة كشارح الطحاوية[1]، فقد حكى ثمانية أقوال عند ذكر الجنّة والنّار وأنهما مخلوقتان لا تفنيان كما هي عقيدة أهل السنّة والجماعة.

وذكر أن القول السابع القائل بفناء النار هو أحد قولي أهل السنّة لكن فيه نظر، وهذا النظر هو الذي حارت فيه بعض العقول ..

وحكاية شيخ الإسلام لأقوال الطوائف، مشحونة بها مؤلفاته، ولكن للرد عليها لا لتقريرها. وفي القرآن الكريم الكثير من حكايات الكفار والمشركين والمجرمين والمنافقين والفاسقين للتنديد بها وتقبيحها.

وهذا واضح ومعلوم لا يحتاج إلى أكثر من هذا ..

وإنما الذي يحتاج إلى التوضيح هو ما أسند إلى شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بعدم دوام النّار في بطون الكتب وما علق بالأذهان كما أشرت إلى ذلك سابقاً .. وبالأخص ما صرح به ابن

---

(١) انظر: ص٤٠٨ ـ ٤٨٣، ٤٨٥ من شرح الطحاوية ط. المكتب الإسلامي، تخريج الألباني.

القيم من أنه سأل شيخه شيخ الإسلام عن هذه المسألة العظيمة ولم يجب فيها بشيء وأنه بعد زمن كتب مصنفه المشهور.

ابن القيم يصرح بأنه سأل شيخ الإسلام عن هذه المسألة :

وقد جرني البحث ـ وأنا في غمرته ـ إلى العثور على كلام لابن القيم في كتابه: «شفاء العليل» يشبه كلامه في «الحادي» وفي «مختصر الصواعق» غير أنه ذكر في «الحادي» خمسة وعشرين وجهاً مؤيدة لقول القائلين بفناء النار، وذكر في «مختصر الصواعق» ثمانية عشر وجهاً، وفي «الشفاء» خمسة عشر وجهاً ثم قال:

(فهذا ما وصل إليه النظر في هذه المسألة التي تكع[1] فيها عقول العقلاء، وكنت سألت شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها بشيء، فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي، بعض تلك الآثار التي ذكرت ـ وهي الآثار الدالة على فناء النار ـ فأرسلت إليه الكتاب، وهو في مجلسه الأخير، وقلت للرسول: قل له: هذا يشكل عليه، ولا يدري ما هو، فكتب مصنفه المشهور ـ رحمة الله عليه ـ فمن كان عنده فضل علم فليجد به فإن فوق كل ذي علمٍ عليماً. وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فإنه ذكر دخول أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء. وعلى مذهب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنّةً ولا ناراً، وذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: **﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ**

---

(١) تكع: بكسر الكاف وضمها قليل، أي تجبن وتضعف. ا.هـ «القاموس المحيط»: جـ٣، ص٧٩ مؤسسة الحلبي وشركاه.

الله﴾[1] وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: انتهى القرآن كلّه إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2] وعلى مذهب قتادة حيث يقول في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[3] الله أعلم بتبيينه على ما وقعت، وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول: أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنّة، فقال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[4] ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النّار، والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله ـ عزّ وجلّ ـ خبر عن الله بما يفعله، فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولاً عليه بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك، والله أعلم)[5].

وهذا يؤيد ما قلته ـ سابقاً ـ من أن ابن القيم حار وحير العقول بكلامه ثم إنه توقف في المسألة ـ كما هو الظاهر من كلامه، ولكن قوله: (والنصوص لا تفهم ذلك) فيه ميول إلى القول بفناء النار، وأنه لا يختار القول بالبقاء إذ إنّ هذا التعبير يشعر بأنه لا دليل لديه قاطع في ذلك، وأن هذا هو الذي وصل إليه فهمه واجتهاده. ومعلوم أن النصوص الواردة في أبدية الجنّة والنّار في الكتاب والسنّة قطعية ومتلازمة غير منفكة. والله أعلم.

كما أن كلام العلامة ابن القيم في «شفاء العليل» المذكور آنفاً يؤيد القول من أن هذه المسألة قد أفردت بمصنفات حافلة، منها لابن تيمية ومنها لابن القيم، ومنها للذهبي، ومنها لابن الوزير.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٢٨.

(٢) سورة هود: آية ١٠٧.

(٣) سورة هود: آية ١٠٧.

(٤) سورة هود: آية ١٠٨.

(٥) «شفاء العليل» لابن القيم: ص٤٣٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط. أولى سنة ١٤٠٧هـ.

ولكن إلى وقت كتابة هذا البحث لم تظهر ـ حسب علمي ـ سوى مؤلفات ابن القيم في هذه المسألة، وهي غير مستقلة، ولكنه استوفى الكلام عليها في (الحادي) وفي (الصواعق المرسلة) بل في (مختصره) وفي (الشفاء) وميول ابن القيم إلى القول بالفناء فالتوقف واضح من كلامه في كتبه المذكورة، وابن الوزير ألّف (الإجادة) وقد سبق ذكر مقتطفات منها أما ما نسبه الشيخ الألباني في مقدمة (رفع الأستار) للصنعاني، من أن ابن القيم قال في (الكافية الشافية):

ثمانيــــة حكــــم البقــــاء يعمهــــا
من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

فذلك وهم، فإن الصواب أن هذين البيتين للسيوطي نسبهما إليه شارح (الكافية الشافية) كما في (توضيح المقاصد)[1] ولو ثبت نسبة البيتين المذكورين لابن القيم لكان مؤكداً لما في كتابيه (طريق الهجرتين) و(الوابل الصيب) من القول بأبدية النّار، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى. ولكن قافية هذين البيتين تختلف عن قافية النونية فهما للسيوطي لا لابن القيم والله أعلم.

وأما مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية المعتمدة والمتداولة، والمقرر منها في الجامعات، فليس فيها شيء ـ حسب علمي ـ من ذلك وإنما فيها تقرير إجماع السلف والخلف، بل إجماع المسلمين على أبدية النّار، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فكيف يمكن القول بأنه يحكي ذلك ويقرره، ثم يصنف ما يناقضه؟!

---

(١) «توضيح المقاصد شرح القصيدة النونية» لأحمد بن إبراهيم بن عيسى جـ١، ص٩٦ =

اللهم إلا أن يقال إنه كان في أول الأمر، يميل إلى القول بفناء — النَّار ـ فعليه تحمل شهادة تلميذه العلامة ابن القيم، فيما حكاه عنه، وفيما صرح به من أن شيخه شيخ الإسلام صنف في هذه المسألة مصنفه المشهور لكنه لم يصل إلينا ـ حسب علمي ـ ولو نشر لأقام الدنيا وأقعدها خصومه ـ ولَما تبحَّر في العلوم تبيَّن له وجه الصواب كما سيأتي بيانه واضحاً جليًّا صريحاً، والرجوع إلى الحق فضيلة، والخطأ والنسيان من طبيعة البشر والعصمة للأنبياء وحدهم، كما أفتى في أول حياته العلمية ـ والله أعلم ـ بحياة الخضر[١].

ومعلوم أن الأحاديث الدالة على ذلك ضعيفة بل موضوعة، كما ذكرها ابن الجوزي (ت سنة ٥٩٧هـ) في كتابه الموضوعات[٢] وكما صرح بذلك العلامة ابن القيم في كتابه: (المنار المنيف في الصحيح والضعيف)[٣] فقد قال ما نصه: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلّها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد».

ثم ذكر الأحاديث الواردة في حياته والمناقضة لها من الكتاب والسنّة وأقوال المحققين من أهل العلم.

ثم إن شيخ الإسلام ابن تيمية أفتى في أواخر حياته العلمية بوفاة الخضر، اعتماداً على الكتاب والسنّة وأقوال المحققين من أهل العلم منهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام ابن الجوزي كما صرح بذلك شيخ الإسلام[٤]، ومعلوم أنه من أعلام

= ـ المكتب الإسلامي. ط. ثانية سنة ١٣٩٢هـ.

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: جـ٤، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي: جـ١، ص١٩٥ وما بعدها وقال: «هذه الأحاديث باطلة»، ط. المكتبة السلفية ط. أولى سنة ١٣٨٦هـ.

(٣) المنار لابن القيم ص٦٧ تحقيق أبي غدة، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ.

(٤) جـ٤، ص٣٣٧ من مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٢٧، ص١٠٢.

المحققين وأكابرهم، ومما يدل على ذلك قوله أثناء كلامه على قصة الخضر مع موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام قال ابن تيمية:

«والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره .. ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .. وإذا كان الخضر حيًّا دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون»[1].

يؤيد ذلك ما قاله تلميذه الإمام ابن القيم في أثناء كلامه على الأحاديث الواردة في الخضر المشار إليها سابقاً بأنها كذب حيث قال: وسئل عنه - أي الخضر - شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»[2]. وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً معروفين بأسمائهم وأسماء قبائلهم، فأين كان الخضر[3] حينئذ؟ وذكر نحو هذا ابن عبد الهادي.

قلت: والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنّة وأقوال المحققين من أهل العلم، فمن القرآن الكريم: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾[4].

---

(١) «مجموع فتاوى» ابن تيمية جـ٢٧، ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب جـ٣، ص١٣٨٣ ـ ١٣٨٤ توزيع الإفتاء سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) المنار المنيف لابن القيم ص٦٨، وانظر العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٠ طبعة المدني.

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٤.

ومن السنّة ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ قبل موته بشهر: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حيّة يومئذ»[1] وغير ذلك من الأحاديث كثير.

وقد سبق أنه ذكر شيخ الإسلام أن هذا هو الصواب الذي عليه المحققون والله أعلم.

وكما أفتى في أول حياته العلمية أيضاً بنجاسة الزيت ونحوه بوقوع نجاسة فيه مثل الفأرة الميتة، اعتماداً على حديث «إذا وقعت الفأرة في السمن فإن كان جامداً فألقوها وما حولها وكلوا سمنكم وإن كان مائعاً فلا تقربوه»[2] رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. فلما تبيّن له عدم صحة زيادة: «وإن كان مائعاً فلا تقربوه» رجع عن ذلك إلى القول بعدم الفرق بين المائع والجامد فقال: «وهذا هو الذي تبيّن لنا ولغيرنا ونحن جازمون بأن هذه الزيادة ليست من كلام ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ فلذلك رجعنا عن الإفتاء بها بعد أن كنّا نفتي بها أولاً، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل والبخاري والترمذي[3] ـ رحمة الله عليهما ـ وغيرهما من أئمة الحديث قد بيّنوا لنا أنها باطلة ..»[4].

---

(١) مسلم: جـ٤، كتاب فضائل الصحابة باب لا تأتي مائة سنة .. ص١٩٦٦.

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢١، ص٥١٥، وانظر الزيادة المذكورة في سنن أبي داود بشرح عون المعبود مع شرح الحافظ ابن القيم مع ما فيها من المقال: جـ١٠ ص٣٢١ وما قبلها وما بعدها.

(٣) البخاري: جـ٦، كتاب الذبائح، باب إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب عن ميمونة مرفوعاً «.. ألقوها وما حولها وكلوه»: ص٢٣٢، ط. استانبول، وسنن الترمذي: جـ٣، ص١٦٥، ١٦٦ حققه: عبد الرحمن عثمان، دار الفكر. بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢١، ص٥١٦.

والإمام الشافعي له مذهبان: القديم والجديد، وبعض الأئمة تجد له في المسألة الواحدة أكثر من قول ومنهم الإمام أحمد ـ رحمهم الله جميعاً ـ وهذا من الأمور الطبيعية التي لا ينجو منها أحد من العلماء بعد أهل العصمة.

فإن قيل: إن هناك معارضة بين شهادة ابن القيم على شيخه ابن تيمية، وبين ما صرح به الأخير فيما سيأتي من كلامه الواضح الصريح بأبدية النّار، فالجواب أنه لا معارضة، لما يأتي:

أولاً : إن شهادة ابن القيم مجملة وكلام شيخه مفصل وصريح جداً بأبدية النّار.

ثانياً : إنه يحتمل أن يكون مصنف ابن تيمية المشهور ـ كما قال ابن القيم ـ هو الذي أيد القول فيه بأبدية النّار.

ثالثاً : إنه يتفق مع ما صرح به من أبديتها في عدة مواضع من كتبه.

رابعاً : إن ابن عبد الهادي (ت سنة ٧٤٤هـ) قال في كتابه (العقود الدرية) أثناء سرده لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية: «وله قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار»[١] ولعل هذه القاعدة المشار إليها هي التي تنطبق عليها شهادة ابن القيم بالمصنف المشهور، وأبدية الجنّة والنّار لا تقبل الانفكاك بحال، لقواطع الأدلة من الكتاب والسنّة على أبديتهما.

والمقصود من بحثنا هذا تحقيق كلام ابن القيم وشيخه ابن تيمية في مسألة القول بفناء النّار وأبديتها ولنبدأ بمواقف العلامة ابن القيم في ذلك.

---

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي: ص٤٩.

مواقف الإمام ابن القيم في المسألة :

لازال كلام العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ الذي ذكره في (حادي الأرواح) وغيره من مؤلفاته في هذه المسألة العظيمة ـ لازال يشغلني عن كثير من ضروريات الحياة إذ كنت أتأثر به أثناء القراءة لما له من الأسلوب الجذاب والنفس الطويل والترتيب الجامع بين الأدلة ومناقشتها وهذا من مميزاته.

ومع هذا لم يجزم بما يميل إليه من كثرة الوجوه، بل حصل له ـ في آخر الأمر ـ التوقف كما هو واضح من كلامه في كتبه التي ناقش فيها هذه المسألة المشار إليها سابقاً، وكذلك (النونية)(١) تكلم فيها بكلام طويل يقارب ثمانمائة بيت في وصف الجنّة وما فيها، ولم يتعرض للكلام عن النّار بنفي ولا إثبات ولكنه التوقف.

وتوقف ابن القيم عند هذه المسألة العظيمة تشم منه رائحة موقف جديد له فيها، وذلك الأمر الذي حدا بي إلى البحث في كتب ابن القيم وشيخه من جديد، لعلمي المستفاد من مؤلفاتهما أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية من مجددي العقيدة السلفية ورافعي رايتها.

وقد وقفت بتوفيق الله عزَّ وجلَّ على الغاية المنشودة، وهي اتفاق الشيخين وتوحيد القول بأبدية النّار، كما هو مذهب السلف، ذكر ذلك الإمام ابن القيم في عدة مواضع من كتبه تلميحاً وتصريحاً.

(١) أما التلميح فما أشار إليه في آخر مقدمة كتابه العظيم (زاد المعاد في هدي خير العباد) حيث قال: «ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النّار خبثه، **بل لو خرج منها لعاد**

---

(١) انظر التفصيل في القصيدة النونية لابن القيم مع شرحها لهراس: جـ٢، ص٤٣١، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط. أولى سنة ١٤٠٦هـ.

خبيثاً كما كان كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه **فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنّة**»[1].

وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[2].

(٢) ما ذكره في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة)[3] الذي حشد فيه أقوال الكثير من علماء السنّة والجماعة على مختلف مذاهبهم رامياً بذلك وجه الجهمية والمعتزلة الذين نفوا صفات الله - عزَّ وجلَّ - وذلك أثناء احتجاجه عليهم بكلام إمامي أهل الحديث أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله تعالى قائلاً: «وإنه سبحانه يرى في الآخرة يراه أهل الجنّة بأبصارهم ويسمَعون كلامه كيف شاء وكما شاء، والجنّة حق، والنّار حق، وهما مخلوقتان لا تفنيان أبداً». فقد استشهد بكلام الإمامين المذكورين وأقرّه بل احتج به على خصوم أهل الحديث وهذا يدل على رجوعه عن الميل إلى القول بفناء النّار وإلا لناقشه بل ولم يحتج به. والله أعلم.

(٣) ما ذكره في كتابه العظيم: (طريق الهجرتين وباب السعادتين) تحت عنوان: (فصل في أن الله خلق دارين وخصّ كل دار بأهل) فقال: «والله سبحانه مع كونه خالق كل شيء فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع، والخفض والرفع، والرحمة والانتقام، فاقتضت حكمته - سبحانه - أن خلق داراً لطالبي رضاه العاملين بطاعته المؤثرين لأمره، القائمين بمحابه، وهي الجنّة، وجعل فيها كل شيء مرضي، وملأها من كل محبوب

---

(١) زاد المعاد جـ١ ص ٢٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٧٢.

(٣) ص١٤٤ - ١٤٥ بيروت، دار الكتب العلمية، ط. أولى، سنة ١٤٠٤هـ.

ومرغوب ومشتهى ولذيذ، وجعل الخير بحذافيره فيها وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته، العاملين بأنواع مخالفته القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله، وهي جهنم وأودعها كل شيء مكروه وسجنها مليء من كل شيء مؤذ ومؤلم وجعل الشر بحذافيره فيها وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات والأقوال والأعمال. **فهاتان الداران هما دار القرار**»[1].

ثم ذكر داراً ثالثة وهي الدنيا شبهها بالميناء لهاتين الدارين.

فقد وصف ابن القيم الدارين بالقرار، ودار القرار هي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها بل دائمة لا تنقطع، وهذا واضح ومعلوم كما ذكره أئمة التفسير عند تفسير قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾**[2].

(٤) ما ذكره ابن القيم في كتابه (الوابل الصيب) عقب كلامه على الدواوين الثلاثة وأن أعظمها الشرك وأن الله حرم الجنّة على المشركين وإنما يدخلها الموحدون، قال بعد ذلك: «وأما النّار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب، ودار

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم: ص٢٥٤ ـ ٢٥٥، حققه وراجعه: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط. الدوحة بدون تاريخ.

(٢) سورة غافر: آية ٣٩، وراجع كتب التفسير لهذه الآية كتفسير ابن جرير: جـ٢٤، ص٦٧، ط. الحلبي وتفسير البغوي: جـ٤، ص٩٨، دار المعرفة، بيروت، وتفسير ابن كثير: جـ٧، ص١٢٤، تحقيق: البنا وزميله، ط. الشعب. وفتح القدير للشوكاني: جـ٤، ص٤٩٣، ط. الحلبي.

الخبيثين. قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه إلى بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض، **وهاتان الداران لا تفنيان**، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم[2] أخرجوا من النار فأدخلوا الجنّة **ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض**)[3].

﴿وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[4].

تعليق على كلام العلامة ابن القيم :

يستنتج من كلام العلامة ابن القيم ـ القيم ـ أن النار قسمان:

قسم يفنى وهو قسم الجهنميين، من أهل الإسلام بعد أن يستوفوا جزاءهم المقدر لهم بعدل الله تعالى وحكمته وبشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وشفاعة الشافعين بإذن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبعفو

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣٧.

(٢) هكذا في (الوابل الصيب) ولعل الصواب: جرائمهم وفي نسخة أخرى أعمالهم والله أعلم.

(٣) الوابل الصيب لابن القيم: ص٤٩، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، توزيع دار الإفتاء.

(٤) سورة الأعراف: آية ٤٣.

الله وكرمه، كما هو عقيدة أهل السنّة والجماعة للأحاديث المتواترة في ذلك.

وقد أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1].

وهؤلاء ـ أي العصاة من الموحدين، هم الذين جمعوا بين الطيب والخبث والقسم الآخر، هو نار الكفار والمشركين الخالدين المخلدين أبداً كما دل على ذلك قواطع الكتاب والسنّة النبوية الصحيحة.

وهؤلاء هم الخبث المحض.

وهذا هو الذي يليق بالإمام ابن القيم وأمثاله، لاتفاقه مع الوحيين وعقيدة السلف أيضاً وأتباعهم.

أما الأثر المروي عن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة رضي الله عنهم في فناء النّار فيحمل على عصاة الموحدين، لكنه ضعيف بل موضوع كما سبق بيانه.

كذلك حديث أنس وأبي أمامة السابق ذكرهما في فناء النّار موضوعان.

ويبقى هنا سؤال وارد، وهو أي الكلامين من كلام ابن القيم المتأخر ليكون ناسخاً للأول، أهو ما في (الحادي) و(الشفاء) و(الصواعق) من الميل إلى القول بفناء النّار ثم التوقف أم ما في (طريق الهجرتين) و(الوابل) من الكلام المخالف لذلك المتفق مع قواطع الكتاب والسنّة وعقيدة سلف الأمة وأتباعهم، ومنهم ابن تيمية؟
الجواب:

لو قلت: إن هذا يحتاج إلى بحث مستقل، فقد بحثت بحثاً شديداً

---

(١) انظر: مجموع فتاويه جـ١، ص١٤٨.

في كتب ابن القيم، ولم أجد ما يشير إلى التأريخ، فلم يبق أمامي إلا الاستنتاج والتعليل، والباحثون الذين كتبوا عنه لم أجد في كتاباتهم ما يشير إلى ذلك.

وأحسنهم من أشار إلى اليسير من هذا وهو الشيخ الدكتور بكر ابن عبد الله أبو زيد في كتابه: (ابن قيم الجوزية حياته وآثاره) ولكنه مع شدة اطلاعه على كتب ابن القيم ـ كما هو واضح من كلامه ـ لم يشر إلى أي القولين هو المتأخر، ولكنه أشار إلى أن (حادي الأرواح) صنفه ابن القيم قبل (الصواعق المرسلة)[1] وهو كذلك. وعلى هذا يبقى (شفاء العليل) و(طريق الهجرتين) و(الوابل الصيب) أيها المتأخر ليكون العمل به؟

يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن ابن القيم ألّف (الشفاء) بعد (الحادي) و(الصواعق) لأنه قلل من ذكر الوجوه في (شفاء العليل) لقول القائلين بفناء النّار حيث ذكر فيه خمسة عشر وجهاً، وفي (الحادي) ذكر خمسة وعشرين وجهاً، وفي هذا دلالة على ضعف تقويته وميوله إلى قول القائلين بالفناء فالتوقف.

أما (الوابل الصيب) و(طريق الهجرتين) فالغالب على ظنّي ـ والله أعلم ـ أن ابن القيم ألّفهما بعد الكتب المذكورة آنفاً وأنهما من أواخر مؤلفاته وهما اللذان حرر فيهما رأيه الأخير، وهو القول بأبدية النّار للوجوه الآتية:

(١) إن مناقشته للمسألة في (الحادي) كانت حادة قوية ومطولة، جلب فيها ـ كما قال الصنعاني ـ خيل الأدلة ورجلها، وهذا لا يقوى عليه إلا في قوة شبابه ونشاطه وقد سبقت الإشارة

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، لبكر بن عبد الله أبو زيد: ص١٤٨، المكتب الإسلامي، ط. ثانية، سنة ١٤٠٣هـ.

إلى أنه ألّف (الحادي) قبل (الصواعق).

(٢) إن قوة البحث في (الشفاء) لهذه المسألة قد خفتت عند ابن القيم لأنه ذكر فيه وجوهاً للقائلين بالفناء أقل بكثير من الوجوه التي ذكرها في (الحادي) كما سبق قريباً.

(٣) إن أسلوب (طريق الهجرتين) و(الوابل الصيب) يشير إلى أنه في أواخر حياته وأنه أخلد إلى الزهد لما في ذينك المصنفين من الترغيب إلى الأذكار النبويّة والحث على الاتجاه إلى الدار الآخرة وهذه المعاني بعضها موجود في (الحادي) ولكن سبق أنه ألّفه قبل (الصواعق).

(٤) إن هذين الكتابين خاليان ـ غالباً ـ عن الأساليب الجدلية التي كان يستخدمها في (الحادي) وغيره.

(٥) كلامه في (الوابل) و(طريق الهجرتين) يدل على أنه المتأخر لأنه لو كان متقدماً لذكره أثناء المناقشة في (الحادي) و(الشفا) و(الصواعق) ولقال: وكنت أقول بأبدية النّار في كتابي: (الوابل) أو (طريق الهجرتين) ولما لم يقل ذلك فيكون قوله بأبدية النّار هو المتأخر. والله أعلم.

(٦) احتجاجه بقول إمامي الحديث أبي زرعة (ت سنة هـ) وأبي حاتم (ت سنة ٣٢٧هـ) في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)[1] الذين عطلوا صفات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومن ذلك قوله: «والجنّة حق والنّار حق وهما مخلوقتان لا تفنيان أبداً» .. فقد احتج بهذا النص وأقرّه ولم يناقشه كعادته في بعض كتبه السابقة، ولما لم يفعل ذلك دل على أنه يقول

---

(١) ص١٤٥.

بأبديّة النّار الذي هو مذهب شيخه وأهل السنّة لقواطع الكتاب والسنّة على ذلك.

(٧) الطاعن عليه الدليل في التقديم والتأخير، إذا لم يقتنع بهذا القليل فليجد بقاطع يمنع هذا الاستنتاج والتعليل. وفوق كل ذي علم عليم.

.. وبعد هذا ورد في ذهني سؤال هو:

هل ابن القيم هو أول من تكلم في هذه المسألة أو هو مسبوق؟

هذا سؤال وارد ـ وهو من أول من أثار الكلام في هذه المسألة العظيمة؟ أهو الإمام ابن القيم، لأنه ذكرها في عدة مواضع من كتبه، وحكى الأقوال فيها وناقشها على لسان أصحابها، وتعددت مواقفه فيها كما سبق بيانه، أم هو مسبوق بكلام غيره ـ من العلماء الأعلام ـ في هذه المسألة؟

الجواب: أنه مسبوق، لأنه لا يليق بمثله أن يؤلف كلاماً على لسان غيره لم يقله ذلك الغير، وممن سبقه إلى ذلك العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري القرطبي (ت سنة ٦٧١هـ) صاحب التفسير المشهور في كتابه: (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

فقد عقد باباً مستقلاً بعنوان: (باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه).

وأورد أحاديث تحت هذا العنوان في الصحيحين وغيرهما تدل على ذلك ثم قال: (فصل: قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النّار فيها لا إلى غاية ولا إلى أمد مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال

تعالى في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ نصِيرٍ﴾[1]. وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[2] وقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوآ أَنْ يَّخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[3].

فمن قال: إنهن يخرجون منها وإن النّار تبقى خالية، بجملتها خاوية على عروشها وإنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنّة والأئمة العدول، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[4] وإنما تخلى جهنّم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ..)[5].

فهذا الكلام سابق لكلام ابن القيم بثمانين عاماً في هذه المسألة أو يزيد وفي هذا دلالة واضحة على أن ابن القيم لم يبتكر الكلام في هذه المسألة فقد طرقها من قبله من عرفت.

والآن وقد انتهينا من الكلام على ما استقر عليه ابن القيم فجدير بنا أن نبدأ بالكلام على نصوص ابن تيمية.

---

(١) سورة فاطر: الآيتان ٣٦، ٣٧.
(٢) سورة النساء: آية ٥٦.
(٣) سورة الحج: الآيات ١٩ ـ ٢٢.
(٤) سورة النساء: آية ١١٥.
(٥) التذكرة للقرطبي: جـ٢، ص٥٢٦ ـ ٥٢٧، تحقيق الدكتور: أحمد حجازي، دار المعرفة. بيروت سنة ١٤٠٢هـ.

مقتطفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تصرح بأبدية النار :

هل يصدق الناس بهذا، وقد استفاض عند كثير منهم أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النّار؟؟

وإني لأشهد وأكرر شهادتي بأن الكثير ممن سألته عن هذه المسألة يجيب بالاستفاضة، وهي قديمة ومقررة في الكتب كما سبق ذكر بعضها في الشواهد على الاستفاضة.

وفي استطاعتي أنا أو غيري الدفاع عن شيخ الإسلام بأن هذه مجرد دعوى مفتقرة إلى الدليل ولا دليل عليها، إلا إشارات ابن القيم، بل حكايات عن شيخه.

فإن قيل: أن عقيدة العلامة ابن القيم مأخوذة عن شيخه أبي العباس ابن تيمية، وهو أخص تلاميذه، فيقال: إن ابن القيم نفسه لم يصرح بأن شيخه المذكور يقول بفناء النّار، بل حكى أنه حكى عن غيره ..

وشهادته بأن شيخه صنف في هذه المسألة، مصنفه المشهور، الذي لم يظهر منه شيء سوى الصفحات الثلاث المشار إليها سابقاً بأنها مجهولة الناسخ والتاريخ، ومفتقرة للشروط المتبعة في مناهج البحث والتحقيق ومعلوم عند أهل هذا الشأن ما يترتب على ذلك من عدم الثبوت.

ولو فرض إسنادها إلى ابن تيمية، لأقام الدنيا وأقعدها خصومه واقتطفوا منها الكلام الذي يحتجون به على شيخ الإسلام ولصاحوا وما سكتوا عن إلزامه بذلك من كلامه، مع كثرة الخصوم والدواعي، قديماً وحديثاً.

وقد سبق أن شهادة ابن القيم مجملة، وكلام ابن تيمية مفصل

وصريح كما سيأتي بيانه.

ثم إن ابن القيم لم يجزم بفناء النّار لا في (الحادي) ولا في (الصواعق) ولا في (الشفاء) بل كل ما في الأمر تأييد وميل إلى القول بفناء النّار ثم التوقف، ثم تحرير رأيه الأخير ـ والله أعلم ـ المتفق مع رأي شيخه المتفق مع نصوص الكتاب والسنّة الصحيحة وأقوال السلف الصالح، بل مع إجماع المسلمين الذي حكاه شيخ الإسلام الآتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فابن القيم بشر، يجوز عليه الخطأ كغيره من البشر، وإذا وجد الأصل بطل الفرع، والقول ما قالت حذام[1].

لهذا فقد ثبت ـ من خلال البحث ـ عندي أن شيخ الإسلام لم يقل بفناء النّار، لما سأثبته عنه، اللهم إلا أن يوجد له كلام لم أطلع عليه، يصرح أو يتضمن التصريح بفناء النّار، لكن وجود مثل هذا ـ ويغلب على ظنّي عدم وجوده ـ يتناقض مع ما سيأتي من تصريحاته المتعددة بأبدية النّار.

وجواز الخطأ والنسيان على البشر أمر مسلّم ومفروغ منه، وإنما غير المسلّم ـ في نظري ـ ما استفاض عن شيخ الإسلام من القول بفناء النّار المقتضي أن المستفيض قد يكون خلاف الواقع.

وإليك النصوص من كلام ابن تيمية لتكون على علم واطمئنان، إذ ليس الخبر كالعيان لك غنمها وعليَّ غرمها وإليك إياها عفواً صفواً فقد تحمل تبعات البحث عنها من سبقت شكواه، من طول ما عناه

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام[2]

---

(١) مثل يضرب في التصديق، أي القول السديد المعتد به ما قالته حذام ا.هـ. «مجمع الأمثال» للميداني: جـ٢، ص١٠٦، مطبعة السنّة المحمدية.

(٢) ويروى فانصتوها أي انصتوا إليها والمثل للجيم بن صعب قاله في امرأته حذام. =

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أبديّة النّار في عدة مواضع من كتبه:

(١) ما ذكره أثناء استنكاره طرق بعض المتكلمين، الباطلة بزعمهم أنها من أصول الدين وليست من أصوله وأنهم مضطربون ومتناقضون بل أنها طريقة باطلة عند المحققين منهم لضعفها أو لتكافؤ الأدلة أو التزام اللوازم الفاسدة شرعاً وعقلاً حيث قال:

«... وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد من الشرع والعقل كما التزم جهم[١] لأجلها فناء الجنّة والنّار والتزم أبو الهذيل[٢] لأجلها انقطاع حركات أهل الجنّة»[٣].

وجه الاستدلال من كلام شيخ الإسلام هذا أن القول بفناء الجنّة والنّار قول فاسد في العقل والشرع، فلا يلتفت إليه البتة لمخالفته للشرع والعقل.

(٢) ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء مناقشته لكلام الطوائف

= «مجمع الأمثال»: جـ٢، ص١٠٦.

(١) جهم بن صفوان كنيته أبو محرز السمرقندي قال الذهبي: (الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً) (الميزان) للذهبي: جـ١، ص٤٢٦، تحقيق: البجاوي، ط. بيروت، ط. أولى سنة ١٣٨٢هـ قتل سنة ١٢٨هـ مع الحارث بن سريج في حربه ضد بني أمية قتله سلم ابن أحوز وكان جهم قد طلب منه الأمان فقال له: ما أمنتك ولو ملئت هذه الملاءة كواكب وأبرأكَ عيسى بن مريم ما نجوت. والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك وأمر بقتله كما في (تاريخ الطبري): جـ٧، ص٣٣٥، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. الرابعة.

(٢) أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري العلاف من شيوخ المعتزلة والمناظر عليها أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل عن واصل بن عطاء. انظر: (الملل والنحل) للشهرستاني: جـ١، ص٤٩ ـ ٥٠ «والفرق بين الفرق» للبغدادي: ص١٢١ ـ ١٢٢، تحقيق: محمد محي الدين، ط. المدني.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٣، ص٣٠٤.

في الدور والتسلسل حيث قال:

«... ولم ينازع في ذلك - أي في حوادث غير متناهية في المستقبل - إلا بعض أهل البدع الذين يقولون بفناء الجنّة والنّار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بفناء حركات أهل الجنّة كما يقوله أبو الهذيل فإن هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجب أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتداء خالفوهم في الانتهاء، وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء»[1].

وجه الدلالة أن القول بفناء الجنّة والنّار من كلام أهل البدع وكلامهم مردود بنصوص الكتاب والسنّة.

(٣) ما أجاب به عن تعليل أفعال الله تعالى - حيث نكر ما عليه جمهور المسلمين سلفاً وخلفاً، من إثبات الحكمة والتعليل، وما عليه بعض طوائف أهل الكلام من نفي ذلك أو إثباته على أصولهم الفاسدة في التعليل، وأن تسلسل الحكم جائز في المستقبل. قال أثناء ذلك:

«وأما كون ذلك - أي خلق أفعال العباد وغيرها - يستلزم التسلسل فإنه إذا خلق شيئاً لحكمة توجد بعد وجوده، وتلك الحكمة لحكمة أخرى لزم التسلسل في المستقبل فهذا جائز عند المسلمين، وغيرهم، ممن يقول بدوام نعيم الجنّة وإنما يخالف في ذلك من شك كالجهم بن صفوان الذي يقول بفناء الجنّة والنّار وكأبي الهذيل الذي يقول بانقطاع حركات أهل الجنّة والنّار»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٨، ص٣٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٨، ص٣٨٠.

وجه الاستدلال أن القول بفناء الجنّة والنّار مخالف لما عليه المسلمون أو جماهيرهم وشيخ الإسلام ابن تيمية من أعلامهم القائلين بدوام الجنّة والنّار.

(٤) ما ذكره من تنازع الناس في جنس الحوادث، شيئاً بعد شيء أثناء مناقشته لصفة الكلام فقال:

«وأما جنس الحوادث شيئاً بعد شيء فهذا شيء تنازع فيه الناس فقيل أن ذلك ممتنع في الماضي والمستقبل كقول الجهم وأبي الهذيل فقال الجهم بفناء الجنّة والنّار وقال أبو الهذيل بفناء حركات أهلهما وقيل بل هو جائز في المستقبل دون الماضي لأن الماضي دخل في الوجود دون المستقبل وهو قول كثير من طوائف النظار ..»[1].

ثم ذكر قول المجوزين لذلك في الماضي والمستقبل ومن بين هؤلاء أئمة الفلاسفة.

وجه الاستدلال أن قول الجهم بفناء الجنّة والنّار وقول أبي الهذيل بفناء حركات أهلهما لم يقل به أحد من طوائف المسلمين بل ولا أحد من أئمة الفلاسفة فكيف يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية ؟!

(٥) ما ذكره أثناء تنديده بمن يسلك مسلك الجهم بن صفوان من الطوائف المختلفة حيث قال:

«والكرامية ونحوهم وافقوه ـ أي الجهم ـ على أصل ذلك وهو امتناع دوام ما لا يتناهى، وأنه يمتنع أن يكون الله لم يزل متكلماً إذا شاء وفعّالاً لما شاء إذا شاء، لامتناع حوادث لا أول

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ١٢، ص٤٥ .

لها، وهو على هذا الأصل ـ الذي هو نفي وجود ما لا يتناهى في المستقبل ـ قال: بفناء الجنّة والنّار، وقد وافقه أبو الهذيل إمام المعتزلة على هذا، لكن قال بتناهي الحركات)[1].

وجه الاستدلال: أن شيخ الإسلام ذكر ذلك في معرض الذم للجهم والعلاف ومن وافقهما على أصلهما الفاسد وما يلزم من ذلك من القول بفناء الجنّة والنّار وبتناهي حركات أهلهما وهذا معلوم الفساد. فهل ابن تيمية يندد بأصل فاسد ثم يعتقده؟!

وهل يمنع أن يكون الله ـ جلَّ وعلا ـ لم يزل متكلماً إذا شاء وفعَّالاً لما شاء إذا شاء؟؟!

(٦) ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء حكايته لكلام الطوائف في الحكمة والتعليل والتسلسل في الماضي والمستقبل وما عليه جمهور المسلمين وغيرهم من أهل الملل من جواز التسلسل في المستقبل وأن إنكار ذلك أدى بالجهم بن صفوان إلى القول بفناء الجنّة والنّار وبأبي الهذيل العلاف إلى القول بانقطاع حركات أهل الجنّة والنّار وأنهم يبقون في سكون دائم لتعميم القول بامتناع تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل قال أثناء حكايته ذلك:

«قالوا ـ أي جمهور أهل السنّة القائلين بالتعليل ـ والتسلسل في المستقبل جائز عند جماهير المسلمين وغيرهم من أهل الملل وغير أهل الملل، فإن نعيم الجنّة والنّار دائم مع تجدد الحوادث فيهما وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان فزعم أن الجنّة والنّار تفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنّة والنّار تنقطع ويبقون في سكون دائم وذلك لأنهم اعتقدوا أن التسلسل

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ١٤، ص٣٤٨.

في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل قالوا هذا القول الذي ضللهم به أئمة الإسلام»[1].

فإذا كان أئمة الإسلام ضللوا القائلين بفناء الجنّة والنّار فهل ابن تيمية إلا من كبار أئمة الإسلام .. وكيف يحكي شيخ الإسلام هذا التضليل للجهم وأبي الهذيل العلاف ثم يتبناه مذهباً له؟؟ هذا ما لا يقوله عاقل.

(٧) ما ذكره تحت عنوان: من وافق على إمكان وجود ما لا يتناهى في الماضي والمستقبل وبعد حكاية أقوال الطوائف التي ذكرها قال:

«ونشأ عن هذا البحث، كلامهم في الحوادث المستقبلة، فطرد إماما هذا الطريق الجهم بن صفوان إمام الجهمية الجبرية وأبو الهذيل العلاف إمام المعتزلة القدرية فنفيا ثبوت ما لا يتناهى في المستقبل فقال الجهم: بفناء الجنّة والنّار وأبو الهذيل اقتصر على القول بفناء حركات أهل الجنّة والنّار ..»[2].

(٨) ونكر هذا النص ابن تيمية بلفظه في كتابه (درء تعارض العقل والنقل)[3] أثناء عرضه لكلام الطوائف في الحوادث التي لا أول لها «ونشأ عن هذا البحث كلامهم في الحوادث المستقبلة ..».

فيا أيها القاريء في أي صنف تصنف ابن تيمية، أهو إمام الجهمية الجبرية القائلين بفناء الجنّة والنّار، أم إمام من أئمة المعتزلة القائل: بفناء حركات أهل الجنّة والنّار ... وحاشاه من

---

(١) منهاج السنّة في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية: جـ١ ص٣٦، ط.بولاق، ط. أولى سنة ١٣٢١هـ .

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية: جـ١، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، دار الكتب العلمية. بيروت، ط. أولى سنة ١٤٠٥هـ.

(٣) المصدر المذكور: جـ١، ص٣٠٥.

ذلك كله .. أم إمام من أئمة الإسلام القائلين بأبديّتهما؟ وهذا هو اللائق بأمثاله. والله المستعان.

(٩) ما نكره أثناء مناقشته لما اختاره الآمدي (ت سنة ٦٣١هـ) في التدليل على امتناع حوادث غير متناهية في كتابه: (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)[١] حيث قال:

«... ثم ما لا يتناهى في المستقبل موجود باتفاق أهل الملة، وعامة الفلاسفة، ولم ينازع في ذلك إلا من شذ كالجهم وأبي الهذيل ونحوهما ممن هو مسبوق بإجماع المسلمين، محجوج بالكتاب والسنّة مخصوم بالأدلة العقليّة، مع مخالفة جماهير العقلاء من الأولين والآخرين»[٢].

فهل شيخ الإسلام رحمه الله ممن شذ وقال بفناء الجنّة والنّار؟ وحاشاه من ذلك - أو هو ممن خالف إجماع المسلمين؟ وهذا منقوض بحكايته إجماع المسلمين - وهو منهم بلا شك، وهو محجوج بالكتاب والسنّة، كيف وهو الداعي إلى التحاكم إليهما وعند المناظرة يقارع الخصوم بهما.. وهل هو خاصم - وهو كذلك - بالأدلة العقليّة أو مخصوم بها، وهل هو من فحول العقلاء - وكلامه شاهد على ذلك - أو هو خارج عن دائرة العقلاء إلى عداد المغفّلين؟! والمغفل من قال بذلك.

فإن كنت في غفلة من هذا فانتبه واكشف الغطاء واجعل بصرك حديداً في كتبه مع إنصاف وابتعاد عن العصبية والتقليد للآباء والمشائخ الجدود وسوف تجد ثمرة ذلك إن شاء الله تعالى نوّر

---

(١) ملحوظة: بعض الطبعات هكذا العنوان وبعضها هكذا: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول.

(٢) موافقة صحيح المنقول لابن تيمية: جـ٢، ص١٢٣.

الله بصائر الجميع.

(١٠) ما أجاب به شيخ الإسلام وقد سئل عن حديث أنس مرفوعاً ـ كما حكاه السائل ـ «سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفنا: النّار وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش»[١] فهل هذا الحديث صحيح؟ فأجاب بما نصه:

«هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من كلام بعض العلماء وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنّة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنّة والنّار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنّة رسوله، وإجماع سلف الأمة وأئمتها»[٢].

الدلالة واضحة وصريحة لا تحتاج إلى بيان ...

إذا قالت حذام فصدقوها
فإن القول ما قالت حذام

(١١) ما قاله في كتابه: (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية)[٣] أثناء كلامه على العرش بأنه لم يكن داخلاً فيما يقبض ويطوى ويبدل ويغير قال:

«... ثم أخبر ببقاء الجنّة والنّار بقاءً مطلقاً».

(١٢) ما قاله في كتابه العظيم: (درء تعارض العقل والنقل) وهو

---

(١) هكذا بهذا اللفظ في المجموع في الإجمال سبعة وفي التفصيل ستة كما ترى.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ١٨، ص٣٠٧ .
(٣) المصدر ذاته لابن تيمية: جـ١، ص١٥٧.

يعرض للخلاف هل لأفعال الله - عزَّ وجلَّ - آخر أو لا آخر لها؟ وذكر مقالة الجهم بن صفوان بفناء الجنّة والنّار ثم قال ما نصّه:

«وقال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنّة والنّار آخر وإنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنّة لا يزالون في الجنّة يتنعمون، وأهل النّار في النّار يعذبون، ليس لذلك آخر، ولا لمعلومات الله - عزَّ وجلَّ - ومقدوراته غاية ولا نهاية»[1].

منطوق هذا النص واضح ومفهومه: أن القائلين بفناء الجنّة والنّار ليسوا من أهل الإسلام .. فهل ينطبق على شيخ الإسلام ابن تيمية دلالة المنطوق، وهو جدير بذلك ولا شك، أو دلالة المفهوم ومعاذ الله من ذلك، سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم.

(١٣) ما قاله في كتابه: (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) وهو يناقش حجج الرازي (ت سنة ٦٠٦هـ) على حدوث العالم والأجساد واعتراض الارموي[2] عليه، وفي الحجة الرابعة بالذات، في تناهي الموجودات وعدم التناهي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذلك:

«والمؤمنون بأن نعيم الجنّة دائم لا ينقضي من المسلمين وأهل الكتاب يسلمون ذلك، ولم ينازع فيه من أهل الكلام إلا الجهم ومن وافقه على فناء النعيم، وأبو الهذيل القائل بفناء الحركات وهما قولان شاذان فقد اتفق السلف والأئمة وجماهير المسلمين

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: جـ٢، ص٣٥٨، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) لا أدري من يقصد بالارموي: أهو سراج الدين محمود بن أبي بكر بن أحمد (ت سنة ٦٨٢هـ) صاحب مطالع الأنوار أم هو الأرموي صفي الدين محمود بن محمد (ت سنة ٧٦٣هـ) صاحب نيل النهاية لابن الأثير أو غيرهما.

على تضليل القائلين بهما ومن أعظم ما أنكره السلف والأئمة قولهم بفناء الجنّة ..»[١].

ثم استشهد لذلك بكلام أبي الحسن الأشعري (ت سنة ٣٣٠هـ) نقلاً من كتابه (مقالات الإسلاميين) بقوله: «وقال الأشعري .. واختلفوا أيضاً في معلومات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومقدوراته، هل لها كل أو لا كل لها؟ على مقالتين، فقال أبو الهذيل: إن لمعلومات الله كلاً وجميعاً ولما يقدر الله عليه كل وجميع وإن أهل الجنّة تنقطع حركاتهم فيسكنون سكوناً دائماً، وقال أكثر أهل الإسلام ليس لمعلومات الله تعالى ولا لما يقدر عليه كل ولا غاية، واختلفوا أيضاً: هل لأفعال الله سبحانه ـ آخر أم لا آخر لها؟ على مقالين: فقال الجهم بن صفوان: إن لمعلومات الله ومقدوراته غاية ونهاية ولأفعاله آخر وإنّ الجنّة والنّار تفنيان، ويفنى أهلهما حتى يكون الله آخراً لا شيء معه، كما كان أولاً لا شيء معه. وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنّة والنار آخر وإنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنّة لا يزالون في الجنّة منعمين، وأهل النّار في النّار يعذبون، ليس لذلك آخر ولا لمعلومات الله ومقدوراته غاية ولا نهاية»[٢].

(١٤) وقد ذكر شيخ الإسلام هذا النص أيضاً في كتابه: (درء تعارض العقل والنقل)[٣] بلفظه فراجعه إن شئت. وقد سبق بعضه في النص الثاني عشر. فأنت ترى أن هذا النص يشبه النص الثاني عشر لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل)

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية: جـ٢، ص٧٢.

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية: جـ٢، ص٧٢، ومقالات الإسلاميين للأشعري: جـ١، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) الدرء: جـ٢، ص٣٥٧.

وأنه يتفق ما قاله مع ما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل الإسلام جميعاً كما ترى في المقالتين: هل لأفعال الله آخر أو لا آخر لها؟ وأن المقالة التي تقول: إن لمعلومات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومقدوراته غاية ونهاية ولأفعاله آخراً، وإنّ الجنّة والنّار تفنيان ويفنى أهلهما .. ليس ذلك من مقالات المسلمين لأنه صرح بأن مقالة أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنّة والنّار آخر ..

ومنطوق هذا النص ومفهومه يتفقان مع منطوق ومفهوم النص الثاني عشر فلا داعي لبيانهما.

(١٥) ونختم هذه النصوص العظيمة الواضحة الصريحة ببراءة شيخ الإسلام ابن تيمية مما نسب إليه بل افتري عليه من القول بفناء النّار نختمها بقوله بهذه الكلمة الوجيزة المؤكدة لما سبق، وذلك في معرض الرد على الجهم بن صفوان، ومن وافقه على القول بفناء الجنّة والنّار حيث قال الشيخ: «واشتد إنكار سلف الأمة عليه لذلك»[١] أي لقوله بفناء الجنّة والنّار، ومعلوم أن شيخ الإسلام ممن اشتد إنكارهم على القائلين بذلك لما سبق ذكره من النصوص، ولأنه علم من أعلام الدعاة إلى السلفية ومؤلفاته خير شاهد على ذلك.

و﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا الله﴾[٢].

تعليق على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية :

هذه النصوص قطرات من بحر علم ابن تيمية، وإني لمعترف بالعجز ـ لما شعرت به أثناء البحث ـ عن استقصاء ما يتعلق بهذه

(١) درء تعارض العقل والنقل: جـ٨، ص٣٤٥.

(٢) سورة الأعراف: آية ٤٣.

المسألة، فكيف بغيرها، وعلى كثرة هذه النصوص التي أوردتها الصريحة بأن ابن تيمية يقول بأبديّة النّار، لا بفنائها ـ كما نسب إليه ـ هل تجد فيها ـ على كثرتها ـ كلمة تناقض الأخرى بأي نوع من أنواع الدلالات .. مطابقية أو تضمنية أو التزامية؟ وما ذلك إلا دليل واضح على أن له قولاً واحداً في هذه المسألة وهو القول بأبديّة النّار، ولو وجدت له كلاماً يناقض هذا ـ وحاشاه من ذلك ـ لذكرته فإن العلم أمانة وخاصة النقل.

وإني لأسطر هذه الكلمات، وأنا أعلم علماً يقيناً أني سوف أُسْأَل عن ذلك بين يدي الله يوم القيامة.

ثم إن هذه النصوص الآنفة الذكر، تدل على أن العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهم في قوله: «قال شيخ الإسلام، وقد نقل هذا عن عمر ...» أو رجع عنه، وهو الظاهر ـ والله أعلم ـ لأن ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ـ سواء كان من تلميذه ابن قيم الجوزية أم غيره ـ لا يتفق ونصوص ابن تيمية المصرح فيها بإجماع سلف الأمة وأئمتها، ومن أعظمهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين الذي روى عنه، وعمن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة تدل على فناء النّار كما سبق بيانه .. بل صرّح ابن تيمية بإجماع أهل الإسلام جميعاً على أبدية النّار، وهذا الإجماع ولله الحمد لم يشذ عنه إلا الجهم بن صفوان القائل بفناء الجنّة والنّار، وأبو الهذيل العلاف القائل: بتناهي حركات أهلهما، وهذا قول أهل البدع، وهو مردود بقواطع الكتاب والسنّة فما منطوق هذا الإجماع، وما مفهومه؟؟

ندع الإجابة للقاريء فهي لا تخفى على من له صلة بالعلم والله المستعان.

فهل يصح القول بعد هذا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النّار؟ وهل يطمع الباحث المتعطش إلى الوصول إلى المعين الصافي ليروى غليله ويشفى عليله، هل يطمع بعد ذلك في التطلع إلى سراب الاستفاضة المغرضة وغير المغرضة، التي يحسبها المقلدون قضية مسلّمة حتى إذا ما جاءت صيحة البحث العلمي بالحق تبهتهم بهتاً، فحين لا يستطيعون ردها عضوا أناملهم وشفاههم من الغيظ أسفاً ألاّ يجدوا ما به يردون ؟.

وهل يصح القول بعد هذا أن أبا العباس أحمد بن تيمية حامل لواء الدعوة السلفية ومجددها يقول بفناء النّار، وقد قرر الإجماع على أبديتها؟ وأنه لم يخالف في ذلك إلا الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وأنه اشتد إنكار سلف الأمة عليهم في ذلك، وأكد ذلك بأنه قول باطل يخالف كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ـ عليه الصلاة وأتم التسليم ـ وإجماع سلف الأمة وأئمتها بل إجماع المسلمين ..

وما بعد هذا إلا القول بأنه ـ ومعاذ الله من ذلك ـ مخالف للكتاب والسنّة وأجماع المسلمين.

وماذا بعد الحق إلا الضلال. والله المستعان.

من المؤكدات لنصوص ابن تيمية الصريحة في براءته من القول بفناء النار:

الأمور المؤكدة لبراءة شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرة لا تخفى على من له اطلاع على كتبه، وكتب تلميذه الإمام ابن القيم:

الأمر الأول: أن تلميذه ابن القيم، بل أخص تلاميذه تبعه في هذا تلميحاً وتصريحاً.

أما التلميح فما أشار إليه في أخر مقدمة كتابه العظيم: (زاد المعاد في هدي خير العباد) إذ قال:

«ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النّار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، **فلذلك حرم الله ـ تعالى ـ على المشرك الجنّة**»[1].

وفي هذا إشارة إلى قول الله تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾**[2].

وأما التصريح فما ذكره في كتابيه العظيمين (الوابل الصيب) و(طريق الهجرتين) وقد سبق ذكر ذلك. كما سبق ما أشار إليه في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية)[3] من احتجاجه بقول الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم بأبديّة الجنّة والنّار.

الأمر الثاني: ما ذكره ابن حزم في كتابه: (مراتب الإجماع) بلفظ: «وأن النّار حق وأنها دار عذاب أبداً لا تفنى ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية»[4].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: جـ١، ص٢٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٧٢.

(٣) ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) «مراتب الإجماع» لابن حزم: ص١٩٣، دار الآفاق الجديدة بيروت ط. أولى ١٩٧٨م.

وأقره على ذلك ابن تيمية في كتابه: (نقد مراتب الإجماع)[1] بخلاف غيرها من المسائل التي تعقبه فيها. وهذا الإجماع الذي حكاه ابن حزم وأقره شيخ الإسلام يتفق مع الإجماع الذي حكاه الشيخ في هذه المسألة العظيمة الخطيرة بقوله: «**وقال أهل الإسلام جميعاً ليس** للجنة والنّار آخر، وأنهما لاتزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنّة لايزالون في الجنّة يتنعمون، وأهل النّار في النّار يعذبون، ليس لذلك آخر ولا لمعلومات الله عزَّ وجل ومقدوراته غاية ولا نهاية»[2].

ويتفق أيضاً مع قوله: «... ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنّة رسوله وإجماع سلف الأُمة وأئمتها»[3].

ومعلوم أن قول أهل البدع لا يخرق إجماع سلف الأُمة وأئمتها فلا يعتد بقولهم كما هو مقرر عند أهل العلم.

الأمر الثالث: أن إمام شيخ الإسلام إمام أهل السنّة والجماعة والصابر على المحنة الإمام أحمد بن حنبل (ت سنة ٢٤١هـ) رحمه الله تعالى صنَّف كتابه الجليل: (الرد على الزنادقة والجهمية)[4] القائلين بفناء الجنّة والنّار وقال في ذكر أهل النار: **﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾**[5] وذكر آيات كثيرة تدل على خلود أهل النّار[6].

---

(١) انظر: نقد مراتب الإجماع لابن تيمية مع (مراتب الإجماع) لابن حزم ص٢٠٣ ـ ٢٠٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: جـ٢، ص٣٥٨.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ١٨، ص٣٠٧.

(٤) بعض الطبعات عنوان هذا الكتاب فيه تقديم الجهمية على الزنادقة.

(٥) سورة فاطر: آية ٣٤.

(٦) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل: ص٤٣.

وابن تيمية كثيراً ما يستشهد بكلام الإمام أحمد من هذا الكتاب ومن غيره.

الأمر الرابع: ما ذكره العلامة ابن القيم في أول كتابه (حادي الأرواح) عن الإمام أحمد بن حنبل من أن أبديّة الجنّة والنّار مذهب أهل السنّة ولم يعلق على ذلك بشيء حيث قال: «... وقد خُلقت الجنّة وما فيها وخُلقت النّار وما فيها خلقهما الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وخلق الخلق لهما، ولا تفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[1] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنّة والنّار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً، لأن الله عزَّ وجلَّ خلقهنَّ للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهنَّ الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل»[2].

وشيخ الإسلام كثيراً ما يستشهد بكلام الإمام أحمد في محل النزاع.

ثم أن ابن القيم أعاد هذا الكلام في آخر كتابه (الحادي)[3] ضمن جملة مقالات أهل السنّة والحديث الذين أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم في (مقالات الإسلاميين)[4] وكما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، وقال ابن القيم: «قال في مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنّة المتمسكين

---

(١) سورة القصص: آية ٨٨.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم: ص ٤٧ .

(٣) ص٣٢٩ ـ ٣٣٢.

(٤) جـ١، ص٣٤٥ ـ ٣٥٠.

بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنّة وسبيل الحق ... ويخرج قوم من النّار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النّار وقوم يخلدون فيها أبداً، وهم أهل الشرك والكفر، والتكذيب والجحود بالله - عزَّ وجلَّ - ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنّة والنّار وقد خلقت الجنّة وما فيها، وخلقت النّار وما فيها، خلقهما الله - عزَّ وجلَّ - وخلق الخلق لهما ولا تفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزَّ وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنّة والنّار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك» إلى آخر النص المذكور قبل هذا إلى قوله: عن سواء السبيل.

هكذا حكى ابن القيم النصين في أول (الحادي) وفي آخره ولم يعقب عليهما بنفي ولا إثبات بل قال في آخر ما نقله ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنّة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب[1].

وهذا يؤيد القول بتوقف ابن القيم في المسألة ثم إنه حرر رأيه هذا الموافق لشيخه ولأهل السنّة والجماعة كما سبق بيانه، بل الموافق لقواطع الكتاب والسنّة الصحيحة.

الأمر الخامس: أن شيخ الإسلام ابن تيمية قائد الدعوة السلفية وحامل لوائها ومجددها وقامع البدعة وأهلها في عصره وتبعه تلميذه،

---

(١) انظر: الحادي: ص٣٣٥.

بل أخص تلاميذه العلامة ابن القيم في ذلك ومؤلفاتهما شاهد عدل على ذلك، ومعلوم أن عقيدة السلف القول بأبدية النّار، لقواطع الأدلة من الكتاب والسنّة الصحيحة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم وأزكى التحية.

الخاتمة وفيها النتائج

بعد سرد ما ذكرت من الاستفاضة بشتى أنواعها، أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النّار، وذكرت شواهدها وإيراد حججها ومناقشتها وأنها لا تقوم منها حجة وما صنف في ذلك من الرد على القائلين بفناء النّار والمراد بهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية، كما هو صريح كلام الصنعاني وغيره، وبعد أن ذكرت مقتطفات من كلام ابن القيم لمَّا ناقش المسألة على ألسن أصحابها وما له من المواقف المتعددة في هذه المسألة العظيمة، وما سردته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية المقتضي لنقيض ما أسند إليه من القول بفناء النّار والمناقشة والتعليق على كل ذلك حسب الطاقة، بعد ذلك كله لا أقول إني قد أحطت بجوانب المسألة أو استقصيتها لضعف نشاطي وقصر باعي وقلة بضاعتي .. وإنما هذه كمعالم يهتدي بها القاصرون أمثالي ويتعمق فيها الرواد الماهرون الخريتون بكتب هذين الإمامين ألاَ وهما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية.

وقد توصلت من خلال البحث إلى النتائج الآتي بيانها:

(١) إن الاستفاضة عن شيخ الإسلام ابن تيمية بالقول بفناء النّار غير صحيحة لعدم البرهان عليها، وللنصوص التي أوردتها وهي خمسة عشر نصًا وكلّها من كلام ابن تيمية ومن كتبه المعتمدة والمحققة منها المشهورة والمتداولة بين العلماء والباحثين والدارسين في الجامعات والمعاهد داخل المملكة العربية

السعودية وخارجها في كثير من جامعات العالم الإسلامي ومعاهده، بل قلما تخلو مكتبة عامة أو خاصة من مؤلفات ابن تيمية وتلميذه بل أخص تلاميذه ابن قيم الجوزية والواقع شاهد عدل على ذلك.

ومن هذا يستفاد أن المستفيض من كلام الناس قد يكون غير مطابق للواقع كهذه الاستفاضة فإن واقع كلام ابن تيمية يجعلها غير مطابقة للواقع كما سبق بيانه.

(٢) ما أثاره معظم القائلين بأن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بفناء النار عمدتهم في ذلك (حادي الأرواح) ومعلوم أنه لابن القيم لا لشيخه ابن تيمية و﴿مَعَاذَ الله أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[١].

وأما غير هؤلاء فليس لهم عمدة ولا أدلوا بحجة.

(٣) إن للعلامة ابن القيم في هذه المسألة ثلاثة مواقف:

الأول : الميل إلى القول بفناء النّار كونه نصر ذلك بكثرة الوجوه البالغة خمسة وعشرين وجهاً بأدلتها المحيرة للعقول كما سبق بيانه عن (الحادي)[٢] و(مختصر الصواعق)[٣] و(شفاء الغليل)[٤].

الثاني: التوقف كما هو صريح كلامه في هذه المراجع المذكورة[٥].

الثالث: القول بأبدية النّار تلميحاً وتصريحاً.

---

(١) سورة يوسف: آية ٧٩.
(٢) ص٢٩٦ ـ ٣١٥.
(٣) ص٢٢٣ ـ ٢٣٧.
(٤) ص٤١٨ ـ ٤٣٥.
(٥) الحادي: ص٣١٤ـ٣١٥، ومختصر الصواعق: ص٢٢٩، وشفاء العليل: ص٤٣٥ .

(١) أما التلميح فما أشار إليه في آخر مقدمة كتابه العظيم: (زاد المعاد في هدي خير العباد)[1] حيث قال:

«ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه فلذلك حرم الله ـ تعالى ـ على المشرك الجنّة» وفي هذا إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[2].

(٢) ما ذكره في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)[3] الذي حشد فيه أقوال كثير من أئمة السنّة والجماعة على مختلف مذاهبهم رامياً بذلك وجه الجهمية والمعتزلة الذين نفوا صفات الله عزَّ وجلَّ وذلك أثناء احتجاجه عليهم بكلام إمامَي أهل الحديث أبي زرعة وأبي حاتم قائلاً:

«... وأنه سبحانه يُرى في الآخرة يراه أهل الجنّة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء والجنّة حق والنّار حق وهما مخلوقتان لا تفنيان أبداً» .. فقد استشهد بكلام الإمامين المنكورين وأقره بل احتج به على خصوم أهل الحديث ويستفاد من هذا رجوعه عن الميل إلى القول بفناء النّار وإلا لناقشه ولم يحتج به. والله أعلم.

(٣) وأما التصريح والجزم بأبديّة النّار فما ذكره في كتابه: (طريق الهجرتين وباب السعادتين)[4] تحت عنوان (فصل في أن الله خلق دارين وخص كل دار بأهل) فقال:

---

(١) جـ١، ص٢٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٧٣.

(٣) ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

«والله سبحانه ـ مع كونه خالق كل شيء فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع، والخفض والرفع، والرحمة والانتقام، فاقتضت حكمته ـ سبحانه أن خلق داراً لطالبي رضاه، العاملين بطاعته المؤثرين لأمره القائمين بمحابه وهي الجنّة، وجعل فيها كل شيء مرضي وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ وجعل الخير بحذافيره فيها وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال، وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه، وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته العاملين بأنواع مخالفته القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله، ونعوت جلاله، وهي جهنّم، وأودعها كل شيء مكروه وسجنها مليء من كل شيء مؤذ ومؤلم، وجعل الشر بحذافيره فيها، وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات، والأقوال والأعمال، **فهاتان الداران هما دار القرار**».

ثم ذكر داراً ثالثة وهي الدنيا شبهها بالميناء لهاتين الدارين.

فقد وصف ابن القيم الدارين بالقرار، ودار القرار هي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها، بل دائمة لا تنقطع.

وهذا واضح ومعلوم كما ذكره أئمة التفسير عند تفسير قول الله تعالى: **﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾**(١).

وقد كررت هذا النص بكامله لما فيه من المعاني الروحية ترغيباً وترهيباً جعلنا الله تعالى من طلاب رضاه العاملين بطاعته المؤثرين لأوامره القائمين بمحابه ووقانا مخالفة أوامره ونواهيه.

---

(١) سورة غافر: آية ٣٩، وراجع كتب التفسير لهذه الآية كتفسير إمام المفسرين ابن =

(٤) ومما ذكره ابن القيم أيضاً في كتابه: (الوابل الصيب)[١] بعد أن ذكر الدواوين الثلاثة وأن أعظمها الشرك بالله وأن الله تعالى حرم الجنّة على المشركين وإنما يدخلها الموحدون. قال بعد ذلك:

«وأما النّار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين. قال الله تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٢].

فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه إلى بعض ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاث دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض، **وهاتان الداران لا تفنيان**، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة. فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر[٣] جزائهم أخرجوا من النّار فأدخلوا الجنّة ولا تبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض».

وهذا هو الأخير من كلام ابن القيم كما يبدو لي والله أعلم ـ للتعليلات الآنفة الذكر في التعليق على مواقفه في هذه المسألة

= جرير: جـ٢٤، ص٦٧، و(تفسير البغوي): جـ٤، ص٩٨، و(تفسير ابن كثير): جـ٧، ص١٢٤، و(فتح القدير) للشوكاني: جـ٤، ص٤٩٣.

(١) ص٤٩.

(٢) سورة الأنفال: آية ٣٧.

(٣) هكذا في الوابل الصيب ولعل الصواب جرائمهم وفي نسخة أخرى: أعمالهم والله أعلم بالصواب.

لاتفاقه مع قواطع الكتاب والسنّة وإجماع الأمة وابن القيم من أعظم الدعاة إلى الكتاب والسنّة وهذا هو الأصل، والطاعن عليه الدليل إذا لم يقتنع بالتعليل والله أعلم.

(٤) وأما شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن شهد أخص تلاميذه بأنه صنف مصنفه المشهور في هذه المسألة العظيمة ـ الذي لم يبيّن فيه ابن القيم نفياً ولا إثباتاً ـ فلم يصل إلينا شيء من مؤلفات ابن تيمية في هذه المسألة العظيمة الخطيرة.

وأما الورقات الثلاث التي ذكر الألباني أنه وجدها في دشت ضمن مخطوطات المكتب الإسلامي وصورها في مقدمته لكتاب (رفع الأستار) للصنعاني وأنها لكاتب مجهول من خطوط القرن الحادي عشر الهجري من رسالة لابن تيمية في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار فلا تعتبر من مصنفات ابن تيمية لانتفاء الشروط المتبعة في مناهج البحث والتحقيق المعروفة عند أهل هذا الشأن. ومن ذلك جهالة الكاتب وعلى فرض صحتها أنها من كلام شيخ الإسلام فقد تضمنها كلام ابن القيم في (الحادي) على سبيل الحكاية لأقوال الناس وأنها رد على من قال بفناء الجنّة والنّار كما هو صريح كلام الألباني. وعلى هذا فالاحتجاج بهذه الورقات الثلاث على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه يقول بفناء النّار ليس في محل النزاع ولا يصح استدلال الخصوم بها لأنها حجة عليهم لا لهم كما هو صريح عنوان الرسالة المزعومة، ولو فرض أيضاً أنها لابن تيمية لأقام خصومه الدنيا وأقعدوها ولاقتطفوا منها نصوصاً يحتجون بها على ابن تيمية لتوفر الدواعي والأسباب ولكن دون ذلك خرط القتاد[1] لما سبق من النصوص الصريحة بأبديّة النّار من كلام

(١) الخرط قشر الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك، والقتاد شجر له شوك أمثال الإبر وهو =

ابن تيمية في كتبه المعتمدة.

(٥) ما نكرته سابقاً من أنه يحتمل أن يكون لشيخ الإسلام في هذه المسألة قولان اعتماداً على شهادة ابن القيم، أن شيخه ابن تيمية صنف مصنفه المشهور في هذه المسألة فهو احتمال ضعيف لورود احتمال أقوى يتفق وشهادة ابن القيم وهو أن المصنف المذكور يحتمل أن يكون في الرد على القائلين بفناء النّار أو الجنّة والنّار كما سبق آنفاً، أن هذا صريح عنوان الصفحات الثلاث المخطوطات التي وجدها الشيخ الألباني ووضع صورها في باطن (رفع الأستار) وهذا مبني على فرض نسبة تلك الصفحات إلى ابن تيمية وأنها ضمن رسالة له في الرد على القائلين بالفناء. يؤيد هذا الاحتمال ما ذكره الشيخ ابن عبد الهادي في كتابه: «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»[1]، وذلك أثناء سرده لمؤلفات ابن تيمية حيث قال: «وله - أي لابن تيمية - قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار».

يؤيد ذلك أن شهادة ابن القيم على مصنف شيخه في هذه المسألة - مجملة وكلام شيخه مفصل وصريح. ومعلوم أن المجمل لا يقوى على معارضة المفصل كما هو مقرر عند أهل العلم.

وشهادة ابن القيم على مصنف شيخه مجملة لم يذكر فيها نفياً ولا إثباتاً أي لم يصرح بأن شيخ الإسلام قال بفناء النّار ولا أبديتها.

ومن أوضح الاحتمالات لهذه الشهادة المجملة أن المصنف

= مثل يضرب للأمر دونه مانع. مجمع الأمثال: جـ١، ص٢٦٥ .

(١) ص٤٩.

المذكور هو في الرد على القائلين بفناء الجنّة والنّار. يوضحه ما نكرته آنفاً من كلام العلامة ابن عبد الهادي أن لشيخ الإسلام قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنّة والنّار يوضحه ويقويه ما نكرته من النصوص السابقة لشيخ الإسلام ابن تيمية الصحيحة الصريحة في أبديّة النّار البالغ عددها خمسة عشر نصًا كلّها من كتبه المعتمدة.

(٦) أن الآثار الواردة عن بعض الصحابة في فناء النّار ضعيفة بل موضوعة كما سبق بيان ذلك وعلى فرض صحتها فهي في حق الموحدين.

(٧) اتفاق الشيخين على القول بأبديّة النّار المتفق مع قواطع الكتاب والسنّة وعقيدة سلف الأمة بل الأمة الإسلامية قاطبة.

(٨) براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النّار براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، واستقرار الإمام ابن القيم على القول بأبديتها، اعتماداً على ما سبق من النصوص التي أوردتها من كلام الشيخين ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] حتى ينتهي إلى علام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب، المتصف بالكمال المطلق في الوجود.

هذا وإني وأنا أختم هذا البحث الموجز عن هذه المسألة الخطيرة لأحمد الله عزّ وجلّ على تمامه بعد أن كاد الجهد أن يثنيني عن بلوغ القصد لولا أن تداركني الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بلطفه وأمدني ـ من فوق سبع سموات ـ بعونه لما ظهر على ما هو عليه فما كان من الإصابات فبتوفيق الله عزَّ وجلَّ وله الحمد والمنّة وما كان من قصور أو خطأ أو نسيان فعزائي أني من البشر ومن فقد الماء تيمم بالتراب.

---

(١) سورة يوسف: آية ٧٦.

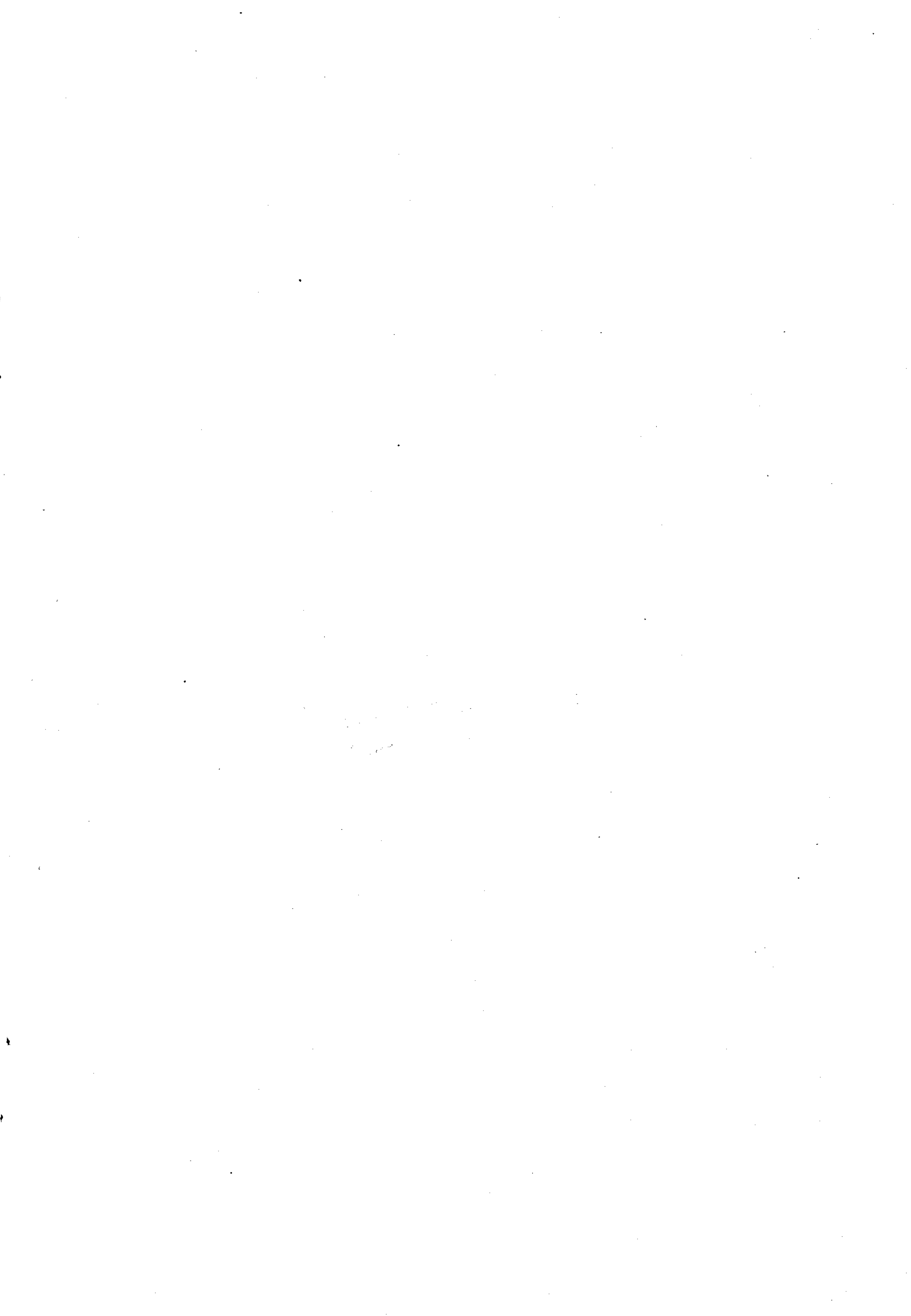
﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1] فلك الحمد ربنا أنت كما أثنيت على نفسك. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن دعا بدعوته وتمسك بسنّته إلى يوم الدين.

بعون الله ـ جلَّ وعلا ـ تم هذا البحث الموجز مساء يوم الاثنين الموافق الأول من شهر صفر مطلع العام الهجري ١٤٠٩هـ عام تسعة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٦، وانظر: ثبوت إجابة هذا الدعاء «صحيح مسلم»: جـ١، كتاب الإيمان، باب بيان أن الله سبحانه لا يكلف إلا ما يطاق ص١١٥ ـ ١١٦.



المراجـــع

مرتبة حسب الحروف الهجائية

(١) **القرآن الكريم**:

(٢) **«أبجد العلوم» المسمى «الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم»**:
لصديق حسن خان القنوجي الهندي (ت سنة ١٣٠٧هـ)، ط. بيروت، دار الكتب العلمية.

(٣) **«ابن قيم الجوزية (ت سنة ٧٥١هـ) حياته وآثاره»**:
للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. ثانية، سنة ١٤٠٣هـ.

(٤) **«ابن القيم وموقفه من التفكير الفلسفي»**:
لعبد الله حجازي.

(٥) **«اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»**:
لابن قيم الجوزية (ت سنة ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى، سنة ١٤٠٤هـ.

(٦) **«الإمام الشوكاني مفسراً»**:
للدكتور محمد حسن الغماري، دار الشروق، ط. أولى، سنة ١٤٠١هـ.

(٧) **«إيثار الحق على الخلق» في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**:
لابن الوزير (ت سنة ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٨) **«البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع»**:
للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت سنة ١٢٥٠هـ)، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط. أولى، سنة ١٣٤٨هـ.

(٩) **«تاريخ الطبري»**:
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. رابعة.

(١٠) «**التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**»:

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج، الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٢هـ)، تحقيق: أحمد حجازي.

(١١) «**تفسير البغوي» المسمى «معالم التنزيل**»:

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (ت ٥١٦هـ) إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. دار المعرفة، بيروت، ط. أولى سنة ١٤٠٦هـ.

(١٢) «**تفسير القرآن العظيم**»:

للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد العزيز غنيم وزميليه، ط. الشعب.

(١٣) «**التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**»:

للشيخ صديق حسن خان القنوجي الهندي (ت ١٣٠٧هـ) المطبعة الهندية العربية، بومباي، ط. ثانية ١٣٨٣هـ.

(١٤) «**توضيح الأفكار**»:

لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت سنة ١١٨٢هـ)، شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير، تحقيق: محمد محي الدين، طبعة السعادة، ط. أولى سنة ١٣٦٦هـ.

(١٥) «**توضيح المقاصد شرح النونية**»:

لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، ط. ثانية سنة ١٣٩٢هـ.

(١٦) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»:

لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط. الحلبي، ط. ثالثة سنة ١٣٨٨هـ.

(١٧) «**الجنّة والنّار والآراء فيهما**»:

رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى لفيصل عبد الله.

(١٨) «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»:

للإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) مكتبة نهضة مصر، ط. ثانية، بدون تاريخ.

(١٩) «درء تعارض العقل والنقل»: لابن تيمية:
تحقيق رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٠هـ.

(٢٠) «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»:
لأبي بكر الحصني (ت ٨٢٩هـ)، ط. الحلبي سنة ١٣٥٠هـ.

(٢١) «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»:
لمحمد بن إسماعيل الشهير بابن الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: الألباني، ط. المكتب الإسلامي، ط. أولى سنة ١٤٠٥هـ.

(٢٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»:
لابن القيم (ت ٧٥١هـ) قدم له: طه عبد الرؤوف، ط. الحلبي سنة ١٣٩٠هـ.

(٢٣) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»:
للألباني، ط. المكتب الإسلامي.

(٢٤) «سنن أبي داود مع عون المعبود»:
للحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحق (ت ٢٧٥هـ) مع شرح الحافظ ابن القيم.

(٢٥) «سنن ابن ماجه»:
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. الحلبي.

(٢٦) «سنن الترمذي»:
للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، حققه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ.

(٢٧) «سنن الدارمي»:
للحافظ أبي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) مع تخريج الدارمي وتصحيحه للسيد عبد الله هاشم اليماني. دار المحاسن للطباعة.

(٢٨) «شرح الطحاوية»:
للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب

الأرناؤوط، ط. المؤيد، ط. أولى سنة ١٤٠١هـ.

(٢٩) **«شرح الطحاوية»**:

لابن أبي العز، خرج أحاديثه الألباني، حققها وراجعها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ط. رابعة سنة ١٣٩١هـ.

(٣٠) **«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»**:

للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى ١٤٠٧هـ.

(٣١) **«صحيح البخاري»**:

لإمام المحدثين الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، طبعة استانبول، تركيا (سنة ١٩٧٩م) مرقم الكتب والأبواب.

(٣٢) **«صحيح مسلم»**:

للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، توزيع الإفتاء سنة ١٤٠٠هـ.

(٣٣) **«طريق الهجرتين وباب السعادتين»**:

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حققه وراجعه: عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح آل ثاني، قطر، بدون تاريخ.

(٣٤) **«العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» (ت ٧٢٨هـ)**:

لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ).

(٣٥) **العواصم والقواصم في الذب عن سنّة أبي القاسم ﷺ»**:

للإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ) خ صنعاء المكتبة الغربية رقم٢٢٦، وأخرى رقم٧٦، وأخرى رقم٤٣٥، ورابعة في مكتبة الشيخ العبيكان بالرياض، وخامسة في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم٣٢ عقيدة، وأخرى رقم٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢١٠، وأخرى في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فاتني رقمها. وقد طبع منه الجزء الأول والثاني بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار البشير، عمان، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٤٠٦هـ ولما ينته الجزء الأول المخطوط.

(٣٦) «**فتح الباري شرح البخاري**»:
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) أشرف على مقابلته وتحقيق الأجزاء الاول منه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

(٣٧) «**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**»:
للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ط. الحلبي.

(٣٨) «**الفتوحات الإلّهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**»:
لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)، ط. عيسى الحلبي.

(٣٩) «**الفرق بين الفرق**»:
لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني بالقاهرة.

(٤٠) «**القاموس المحيط**»:
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي بالقاهرة.

(٤١) «**الكامل في ضعفاء الرجال**»:
للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٢٦٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء المختصين، دار الفكر، بيروت، ط. ثانية سنة ١٤٠٥هـ.

(٤٢) «**الكافية الشافية**» المشهورة بـ «**القصيدة النونية في الانتصار للفرقة الناجية**»:
للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مع شرحها لخليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى سنة ١٤٠٦هـ.

(٤٣) «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**»:
للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (ت١١٦٢هـ)، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاشي، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي.

(٤٤) **«مجمع الأمثال»**:

لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ) تحقيق: محمد محي الدين ط. السنة المحمدية سنة ١٣٧٤هـ.

(٤٥) **«مجموع فتاوى ابن تيمية»**:

جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي بمساعدة ابنه محمد، صورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ، توزيع الإفتاء.

(٤٦) **«مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»**:

لابن قيم الجوزية. اختصره: الشيخ محمد بن الموصلي، دار الندوة الجديدة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

(٤٧) **«مراتب الإجماع»**:

لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. أولى سنة ١٣٧٨هـ.

(٤٨) **«مسند الإمام أحمد بن حنبل» (ت ٢٤١هـ)**:

ط. المكتب الإسلامي.

(٤٩) **«مفاتيح الغيب»** المشهور **«بتفسير الرازي»**:

للرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط. بيروت سنة ١٤٠١هـ.

(٥٠) **«المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى»: للغزالي (ت ٥٠٥هـ)**،

حققه وقدم له: فضله شحاته. ط. بيروت.

(٥١) **«الملل والنحل»**:

لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) بيروت، ط. ثانية سنة ١٣٩٥هـ.

(٥٢) **«منهاج السنّة في نقض كلام الشيعة والقدرية»**:

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ط. بولاق، ط. أولى سنة ١٣٢١هـ.

(٥٣) **«المنار المنيف في الصحيح والضعيف»**:

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق أبي غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ.

(٥٤) **«موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»**.

(وفي بعض النسخ تقديم وتأخير في العنوان).

لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى سنة ١٤٠٥هـ.

(٥٥) **«الموضوعات»**:

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن، المدينة المنورة، ط. أولى سنة ١٣٨٦هـ.

(٥٦) **«ميزان الاعتدال في نقد الرجال»**:

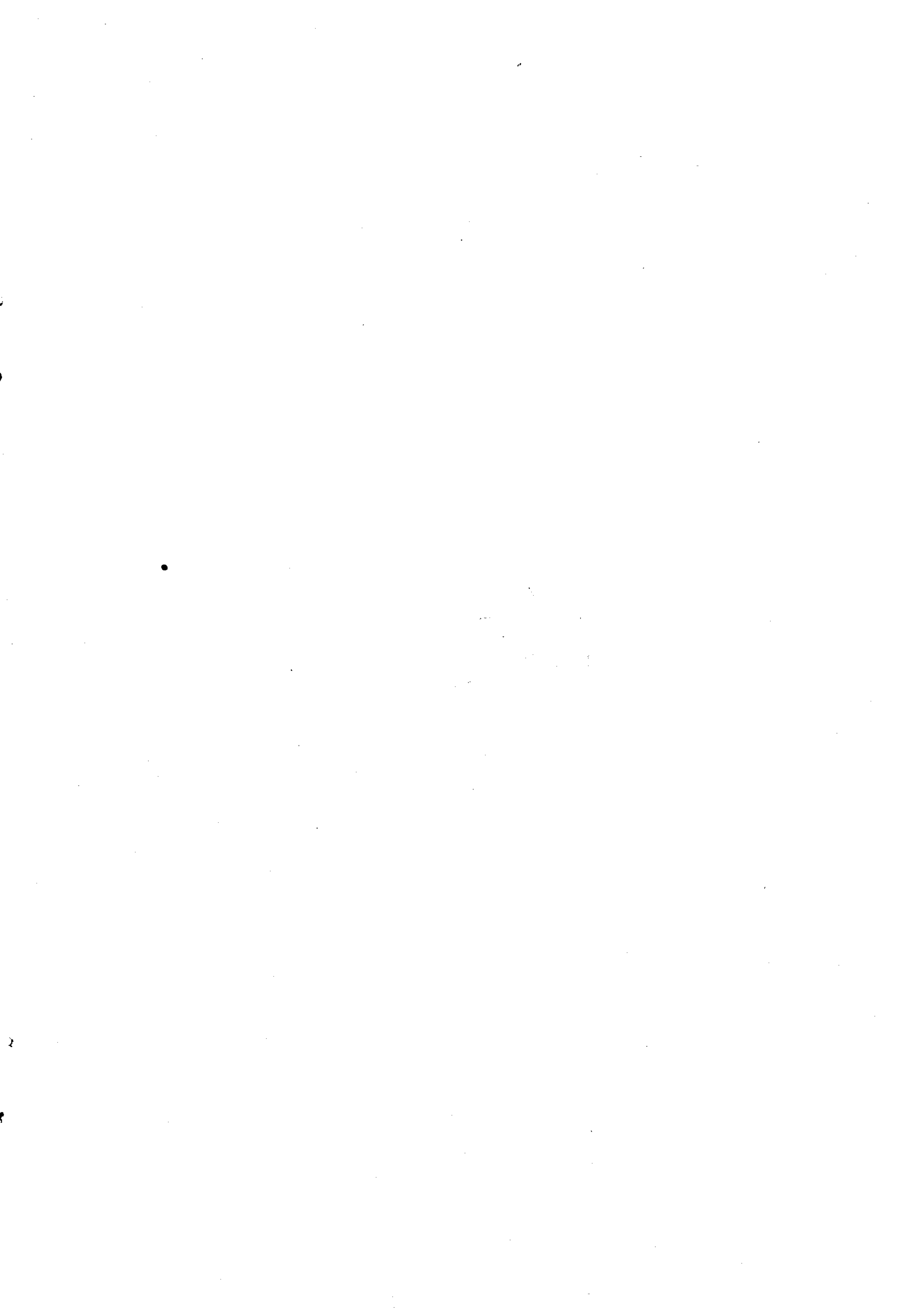
للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط. أولى سنة ١٣٨٢هـ.

(٥٧) **«نقد مراتب الإجماع مع مراتب الإجماع»**:

لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الآفاق الجديدة، ط. بيروت، ط. أولى سنة ١٣٧٨هـ.

(٥٨). **«الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب»**:

لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، توزيع دار الإفتاء.



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٣
من صعوبات البحث	٧
من حوافز البحث	٩
أهداف البحث	١٠
أهمية البحث	١١
منهج البحث	١٢
الاستفاضة عن ابن تيمية بالقول بفناء النار وشواهدها	١٥
ما ذكره الحصني الدمشقي	١٥
ما ذكره ابن الوزير	١٧
ما أشار إليه ابن حجر	١٨
الكتاب الذي ألفه الصنعاني	١٩
ما ذكره صاحب «الفتوحات الإلهية» وغيره	٢٠
الاستفاضة الناطقة	٢٣
أسباب الاستفاضة وتقسيم الناس في الهدف منها	٢٤
القسم الأول: قوم امتلأت نفوسهم حسداً	٢٤
القسم الثاني: قوم وجدوا كلام ابن القيم	٢٥
مقتطفات من «الإجادة» لابن الوزير	٢٦
تعقيب على كلام ابن الوزير	٢٨
كلام الأمير الصنعاني والتعقيب عليه	٢٩
القسم الثالث من الناس الذين أسندوا القول بفناء النار	٣٢
القسم الأخير من الناس	٣٤
مقتطفات من مناقشة ابن القيم للمسألة	٣٤

الموضـــوع	الصفحة

تعليق على كلام الإمام ابن القيم ٤١
ابن القيم يصرح بأنه سأل شيخ الإسلام عن هذه المسألة مع نكر نصوص من كلام ابن القيم والتعليق عليها ٤٢
مواقف الإمام ابن القيم في المسألة ٤٩
تعليق على كلام العلامة ابن القيم ٥٣
هل ابن القيم هو أول من تكلم في هذه المسألة أو هو مسبوق؟ .. ٥٦
مقتطفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تصرح بأبدية النّار مع ربطها بما قبلها والتعليق عليها ٥٨
تعليق على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٠
من المؤكدات لنصوص ابن تيمية الصريحة في براءته من القول بفناء النّار ٧٢
الخاتمة وفيها النتائج ٧٧
المراجع ٨٧
المحتويات ٩٥